الجامعة الأردنية

التفويض

أنا **سامح رمضان حسن المحاريق**، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: ٢٠١٢/٨/٨

The University of Jordan

Authorization

I **Sameh Ramdan Hassan Al-Mahariq,** authorize the University of Jordan to supply copies of my Thesis/ Dissertation to libraries or establishments or individuals on request, according to the University of Jordan regulations.

Signature:

Date: 08.08.2012

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر) وأجيزت بتاريخ ٨/٨/ ٢٠١٢

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور "أحمد عوني" عبد العزيز ماضي، مشرفاً أستاذ – تاريخ الفلسفة	.....
الدكتور سلمان فضيل البدور، عضواً أستاذ– الفلسفة المقارنة	.....
الدكتورة نديم ~~محمد~~ علي عبيد، عضواً أستاذ– الذكاء الاصطناعي	.....
الدكتور هشام بشارة غصيب، عضواً أستاذ – الفيزياء (جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا)	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر

إعداد
سامح رمضان حسن المحاريق

المشرف
الأستاذ الدكتور "احمد عوني" عبد العزيز ماضي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
الفلسفة

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....٢٠١٢/٩/٢٧

أيلول، 2012

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى زوجتـــــــــــي

ميـــــــرفت جبـــــــــران

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر إلى جميع من ساعدوني على إنجاز مهمتي البحثية حول الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور أحمد ماضي لما أسداه لي من نصح متواصل لأستطيع أن أنجز هذه الرسالة.

كما أتوجه بالشكر إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة الذين فتحوا أمامي العديد من المجالات المعرفية وأخص بالذكر الأساتذة الذين تشرفت بالتعلم منهم مباشرة، الدكتور سلمان البدور، والدكتور وليد عطاري، والدكتور عزمي طه السيد أحمد.

وأتوجه بجزيل الشكر لأعضاء لجنة مناقشة الرسالة الدكتور سلمان البدور والدكتور نديم عبيد، والدكتور هشام غصيب.

فهرس المحتويات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضــوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	ه
ملخص الرسالة	و
المقدمة	١
الفصل الأول: الفلسفة الوضعية وعلاقتها بالفلسفة العلمية	٣
الفصل الثاني: الوضعية المنطقية واخفاق مشروع الفلسفة العلمية	٢٧
الفصل الثالث: الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر	٧٥
الخاتمة	١١٠
المصادر والمراجع	١١٣
الملخص باللغة الإنجليزية	١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعداد
سامح رمضان حسن المحاريق

المشرف
الأستاذ الدكتور "أحمد عوني" عبد العزيز ماضي

ملخـــــص

طُرحت الوضعية المنطقية بوصفها فلسفة علمية في النصف الأول من القرن العشرين، وأثرت بمواقفها الجذرية المناهضة للميتافيزيقا، وتركيزها على ضرورة التحليل المنطقي واللغوي للعالم، في العديد من الفلاسفة المعاصرين. وعلى الرغم من أن هذه المدرسة الفلسفية لم تتمكن من استكمال مشروعها الذي طرحته من خلال حلقة فيينا، إلا أنها تمكنت من طرح العديد من الأسئلة المهمة مستقبل الفلسفة في إطار التقدم المطرد للعلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء.

كان زكي نجيب محمود أبرز دعاة الوضعية المنطقية في الوطن العربي، حيث رأى في تركيزها على التحليل المنطقي، والبحث في اللغة، وسائل مجدية في تخليص الوطن العربي من الأوهام التي تسيطر عليه، وجانب منها يتعلق بالمقولات التراثية، وطبق محمود منهجه في مشروع كبير لقراءة التراث والخروج بنتائج جديدة أثارت حولها حوارا مطولا في أوساط المختصين وغيرالمختصين بالشأن الفلسفي، وكانت هذه الحوارات تدلل على طريقة تعاطي الفكر العربي مع الأفكار الواردة من الغرب بصورة خاصة، والمواقف التي يتخذها المفكرون تجاه الأخذ عنه.

سعيت في هذه الرسالة لتقديم تعريف بالوضعية ككل، ومن ثم تطرقت للوضعية المنطقية ومصائرها في الحلقات الفلسفية الغربية، وأبرز الانتقادات التي وجهت لها في الأوساط الفلسفية الغربية، وبعد ذلك أخذت في عرض وتقييم الآراء التي اتخذها بعض المفكرين العرب من الوضعية المنطقية، وحاولت أن أتوصل إلى نتائج حول سلوك النخبة الفكرية العربية بين التوفيقية والانتقائية في تعاملها مع قضية الأصالة والمعاصرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:

يمكن أن تقع مسألة تلقي الفكر العربي المعاصر للوضعية المنطقية ضمن آليات التلقي التي مارستها النخب الثقافية العربية تجاه مدارس فلسفية واتجاهات فكرية بدأت في طرح نفسها على الساحة العربية تباعا منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ومن هذه الاتجاهات المهمة، الداروينية والداروينية الاجتماعية، والفرويدية ومختلف تيارات علم النفس الحديث، والمادية الجدلية بمختلف أطيافها، وهذه التيارات مثلت مادة للجزر والمد في أوساط المثقفين العرب، فمنهم من ذهب لأخذها بالكامل وتطبيقها في المجتمعات العربية، ومنهم من دعى إلى إعادة أقلمتها مع الشروط القائمة في المجتمعات العربية، وتيار آخر، رفض أن يأخذ بهذه الأفكار وعمل على مناهضتها بصورة أو بأخرى، كما كانت هذه المدارس والاتجاهات أيضا موضوعا لجدل فيما بينها، فكل مدرسة ترفض الأخرى، وتتوجه لمبادئها بالنقد، وكأنها تسعى للتفرد بالساحة الفكرية وتستحوذ على الأتباع والأشياع من المثقفين وغيرهم من مكونات النخبة العربية، فكانت الحالة تشبه البحث عن "وصفة جاهزة" لأزمة النهضة العربية، وليس التعامل بواقعية وانفتاح مع مختلف التيارات التي وفدت من الغرب في سبيل إثراء المشهد الفكري العربي.

وصف الدكتور فؤاد زكريا المعركة التي دارت حول الوضعية المنطقية بـ "معركة الملل"، فهي لم تنحصر في ردهات الجامعات والأقسام المختصة، وإنما أصبحت موضوعا لسجال واسع على صفحات الجرائد، وإن يكن الدكتور أحمد ماضي يرى أن الوضعية المنطقية حازت ميزة وجود نصير متحمس لها، وهو الدكتور زكي نجيب محمود، إلا أن ذلك أدى في بعض التفاصيل إلى شخصنة النقد الذي جرى توجيهه للوضعية المنطقية، فكان النقد موجها لهذه المدرسة الفلسفية ضمن رؤية زكي نجيب محمود، وليس ضمن مقولاتها الأصلية كما وردت لدى حلقة فيينا، وعلى الرغم من ذلك أتت المحصلة العامة للوضعية المنطقية هزيلة قياسا بمدرسة نعتقد أنها كانت ستحرك جانبا كبيرا من مياه الوعي الجمعي الراكدة بما تحمله من أسئلة يمكن أن تعيد توجيه العقل العربي نحو مساحات غير مطروقة مسبقا من قبله.

إن مجرد القول بالوضعية المنطقية بشكل عام، كان يضع إيحاءا سلبيا لدى المتلقين العرب، فالوضعية هي نقيض لاتباع النص، فالقانون الوضعي هو نقيض الشريعة السماوية، بنفس الطريقة التي فهمت بها العلمانية كنقيض للدين، والمنطق أيضا يواجه تراثا من الانتقاد في الأوساط الدينية، وربما الشعبوية، فمقولة "من تمنطق فقد تزندق"، بقيت تلقي بثقلها على تقدم المنطق لدى العرب في العصور الحديثة، على الرغم من إسهامهم الكبير في تقدمه التاريخي،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول بأن الوضعية المنطقية، من حيث المبدأ، حازت على صورة ذهنية سلبية، وتضافرت الأسباب لتجعل المثقفين العرب يتعاملون مع الدعوة لتوظيفها كأحد الحلول للمأزق الحضاري العربي بكثير من الريبة والتشكك.

سعت هذه الرسالة لإلقاء الضوء على الوضعية المنطقية من خلال تتبع جذورها الفكرية والتاريخية، قبل أن تمضي إلى تتبع مسيرتها ضمن الفكر العربي المعاصر، وحاولت أن تغطي بعضا من جوانب "المعركة" التي دارت حول الوضعية المنطقية في الوطن العربي، وأن تطرح كتكملة للجهود الكبيرة التي بذلت للقراءة في الوضعية المنطقية في الفكر العربي، ولا يمكن أن نغفل ما قدمه الدكتور أحمد ماضي من الأردن، والدكتور ماهر عبد القادر محمد علي من مصر، في سياق رصد وتتبع الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر، ونعتبر هذه الدراسة أتت لتلقي الضوء على بعض الآراء التي لم تعالجها القراءات التي قدمها ماضي وعبد القادر، وذلك لاعتقادي بأن البحث العلمي عملية تراكمية، وأن الوضعية المنطقية كانت لحظة مهمة في تاريخ الفكر العربي المعاصر أثارت أثناء ذروة حضورها العديد من الآراء المهمة التي ما زالت تتصف بالصلاحية للقراءة والبحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الفلسفة الوضعية وعلاقتها بالفسلفة العلمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كونت واللحظة الوضعية:

عاشت فرنسا فترة حرجة من تاريخها بعد الثورة ١٧٨٩، وحتى إعلان الجمهورية الثانية ١٨٤٨، وشهدت هذه السنوات خوض جولة مهمة مكنت دعاة الحرية في صورتها الليبرالية من الخروج بانتصار معتبر على كينونة النظام القديم السائد، قبل الثورة، وخاصة فيما يتعلق بجانب السلطة السياسية، وتقاليدها وطبيعة النخبة الفرنسية، فسلطة رجال الدين أخذت تزداد ضعفا وصولا إلى الاندثار، وأثبتت النزعة العلمانية وجودها، بوصفها مبدأ سائدا في المجتمع الفرنسي[١]، وينتمي أوجست كونت August Comte (١٧٩٨ – ١٨٥٧) لهذه الفترة، شكلا، وموضوعا، بصورة تجعل من منجزه الفكري جزءا أصيلا من تفاعلات الفكر الفرنسي، في مرحلة ما بعد الثورة، أو المرحلة التي أطلق عليها المؤرخ البريطاني إريك هوبزباوم Eric Hobsbawm (١٩١٧- ...) عصر الثورة ، حيث يرى أن هذه المرحلة شهدت صعودا كبيرا للأيديولوجيا العلمانية التي اقتنعت "بأن في وسع البشر أن يفهموا كل شيء، ويحلوا كل المعضلات، بإعمال العقل"[٢]، وأن تتجه الفلسفة إلى المادية والتجريبية كما يليق بأيديولوجية تستمد قوتها وأساليب عملها من العلم[٣]. ولعل هوبزباوم يفرط في تقديره لأهمية فلسفة كونت، فيضعها ضمن أيديولوجيات التحديث الغربية التي أثرت على كثير من أنحاء العالم وبما في ذلك العالم الإسلامي.

"ولم يكن من قبيل المصادفة أن أيديولوجيات التحديث الغربية التي تبنتها الطلائع المستنيرة، وفرضتها من أعلى، أصبح لها نفوذها في العالم الإسلامي، مثلما كان لها تأثيرها على أنظمة الحكم غير الأوروبية التي كانت تسعى للتخلص من التخلف الاقتصادي. ومن هذه الأيديولوجيات فلسفة أوغست كونت الوضعية (التي كانت لها أصداء في البرازيل والمكسيك، وكذلك في الإمبراطورية العثمانية)"[٤].

وإذ يبدو أنه لا مناص من أن يبدأ أي حديث عن الفلسفة الوضعية من كونت الذي صاغ المصطلح نفسه وفرضه في مجالات الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ[٥]، إلا أن الوقوف على عدد

---

[١] المقرحي، ميلاد: تاريخ أوروبا الحديث، (١٤٥٣ – ١٨٤٨)، ١٩٩٦ منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ص ٣١٦.
[٢] هوبزباوم، إريك ت: فايز الصياغ، عصر الثورة (١٧٨٩ – ١٨٤٨)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص ٤٣٥.
[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٤] نقلا عن: المرجع السابق، ص ٢٨- ص٢٩.
[٥] يرى غيرتارد لينزر Gertrud Lenzer في كتابه أوغست كونت والوضعية أن سان سيمون هو أول من طرح فكرة الوضعية والفلسفة الوضعية، بينما قام كونت بنشرها وتعميمها بصورة واسعة ووضعها ضمن منظومة متكاملة، أنظر Auguste Comte and positivism: the essential writings كما يعزز ذلك الرأي أن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المقدمات في تاريخ الفكر والعلوم يمكن أن يضيف كثيرا من الفائدة قبل الحديث عن وضعية كونت.

يرى جون ستيورات ميل John Stuart Mill (١٨٠٦- ١٨٧٣) أنه لا يمكن تجاهل أسماء بيكون Francis Bacon (١٥٦١- ١٦٢٦) وديكارت René Descartes (١٥٩٦- ١٦٥٠) وجاليليو Galileo Galilei (١٥٦٤- ١٦٤٢) بوصفهم مؤسسين جمعيين للوضعية [١]، بمعنى التأثير الذي خلفوه على الحركة العلمية وعلاقتها مع الجوانب الفلسفية[٢]، وكذلك ما اشتملت عليه أفكارهم من تثوير استطاع أن يضع للفيلسوف دورا جديدا، بينما يرى برتراند راسل Bertrand Russell (١٨٧٢- ١٩٧٠) أن كونت خليفة لحركة الموسوعيين، [٣] وخاصة فيما يتعلق بترتيب ميدان الدراسة العلمية بأكمله ترتيبا منطقيا شاملا[٤]. ومع وجود نفس الطموح إلى حد ما لدى كونت خاصة في مؤلفه المبكر "خطة للمؤلفات العلمية اللازمة لإعادة تنظيم المجتمع"، إلا أن الربط الذي يراه راسل يمكن الرد عليه، بأن كونت ليس متأثرا بالموسوعيين أكثر من أي من مجايليه ليعتبر خليفة لهم، وإنما يأتي امتدادا طبيعيا لحركة العصر النابليوني الذي أعطى وعدا بأوروبا جديدة، وما تضمنه ذلك من مراجعة شاملة لتاريخ القارة وثقافتها وفلسفتها مع رغبة في تحقيق انقلاب شامل، وبالتالي فإن كونت سيسعى ولو تلاقى مع الموسوعيين في ذلك، دون أن يكون بالضرورة متأثرا بهم، لأن يطمح لرسم ملامح ذلك الانقلاب من الناحية الفكرية، وفي الوجهة الاجتماعية، كما أنه في ذلك يقع تحت تأثير معلمه الأول هنري دي سان سيمون Henri de Saint-Simon (١٧٦٠ – ١٨٢٥) ، وإلى حد ما، يمكن اعتبار الوضعية هي النقطة الافتراقية بين طوباوية السان سيمونية وبين الفكر الواقعي الذي تبناه كونت.

إن مسألة أسلاف كونت ليست بهذه الأهمية، فالكثيرون يمكن أن يوضعوا في سلسلة طويلة تسبقه أسست لتراكم معرفي مكنه من بناء تصوره لإطلاق الفلسفة الوضعية، إلا أن أحدهم

كونت بدأ بالكتابة عن الفلسفة الوضعية تحت اشراف سان سيمون عندما كان يعمل كاتبا له (راجع إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، الجزء السادس، ص ٣٤١) ، ويميل إلى ذلك أيضا لالاند ويضعها ضمن المصطلحات التي صاغها المذهب السان – سيموني بحسب وصفه (موسوعة لالاند ص ٩٩٩) ، إلا أنه في الوقت ذاته، يرى أن الوضعية ككل هي مجمل مذاهب أوغست كونت (موسوعة لالاند ص ١٠٠١).

(1) Mill, John Stuart: August Comte and Positivism, 2008, Serenity Publishers, Rockville, pages 11, 12.

(٢) ترى موسوعة كمبريدج للفلسفة في طبعتها الثانية ١٩٩٩، أنه إن توجب أن يذكر فضل لأحد كمؤثر حقيقي في الفكر الوضعي وبداياته الأولى فإنه للفيلسوف الإنجليزي فرانسيس باكون.

(٣) مجموعة من الفلاسفة الفرنسيين ارتبطوا بانجاز "الموسوعة أو القاموس المنهجي للعلوم والفنون والصناعات" في سبعة عشر مجلدا ومن أبرزهم ديدرو ودالمبير، وكان الهدف من هذا العمل تزويد القارئ بالمعلومات في كل فرع من فروع المعرفة، وتوجيه اهتمام خاص إلى تطبيق العلم في ميدان الصناعة والتجارة والفنون. (الموسوعة الفلسفية المختصرة – دار القلم – بيروت / لبنان ص ٤٦٣).

(٤) راسل، برتراند: حكمة الغرب ٢٠٠٩، الجزء الثاني، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة (الكويت)، ص ١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجب أن يسلط عيه الضوء، وهو عمانوئيل كانط Immanuel Kant (1724 -1804)، وخاصة فيما قدمه من إسهامات في مجال التحرر من وطأة الميتافيزيقيا، ولكن كانط سعى إلى إصلاح الميتافيزيقيا وضبطها بحيث يمكن أن تصبح علما، وفي ذلك سعى إلى أن تكون فلسفته الترانسندنتالية بمنزلة التمهيد للميتافيزيقيا الجديدة، بحيث يمكن للميتافيزيقي أن يتجنب الوقوع في أغاليط المنهج، فكأن فلسفة كانط في جوهرها أشبه ما تكون بمناهج بحث للميتافيزيقيا[١]، وإذا كانت جرأة كانط تتمثل في التعامل مع الصروح الكبرى، التي أقيمت على أساس الميتافيزيقيا، والتأمل الذاتي، في أسئلتها ومجالاتها، فإن الخطوة التي يتقدم بها كونت في هذا السياق تتجاوز أي محاولة توفيقية يمكن أن يقوم بها الكانطيون، وتقطع أي طريق للتصالح مع التراث الميتافيزيقي.

إن كونت يقرر بأن المعرفة الإنسانية ممكنة في مجال الظواهر وحسب، وأن المعرفة بالظواهر نسبية، وليست مطلقة، فالمعرفة بجوهر أو بطريقة إنتاج أي ظاهرة ممتنعة، وكل المتاح هو الوقوف على العلاقات التي تربطها بالظواهر الأخرى، سواء عن طريق التتابع أو التشابه، وهذه العلاقات ثابتة طالما أن الظروف التي تحكمها ثابتة هي الأخرى، والتشابه الثابت الذي يربط الظواهر ببعضها، والتسلسل الثابت الذي يوحد بينها كظواهر سابقة أو لاحقة يحدد الشروط التي تحكمها، وهذه الشروط هي كل ما يمكن معرفته عن الظاهرة، أما طبيعتها الجوهرية أو أسبابها المطلقة، سواء كانت جارية أم نهائية، فهي غير معروفة وغامضة بالنسبة للإنسان[٢].

إن وجهة نظر كونت، في المعرفة والحقيقة، تقوم على نظرية الاتساق، وهي لا تعول كثيرا على إمكانات العقل البشري، أو بمعنى أدق الذهن، وإنما تتعامل مع الحقائق ككيانات مترابطة في علاقات ثابتة في مجموعة ثابتة من الظروف، وعلى ذلك، فإن الإلمام بهذه العلاقات يمكن من اكتشاف الحقائق تباعا، وهذا ما يتفق مع منطق العلم، حيث أن العلم ليس معنيا بالوصول إلى حقيقة مطلقة، وليس موضوعه البحث في الأسباب الكلية، وإنما في الانتقال من المسببات للوصول إلى نتائج مجدية، وفي عصر كونت كان التراكم العلمي يسمح للإنسان بممارسة بعض غروره، فكونت بدأ مشروعه الفلسفي بعد سنوات قليلة من وفاة أنطوان لافوازييه الذي تقدمت اكتشافاته بعلمي الفيزياء والكيمياء، وخلصتهما من العديد من الأفكار السابقة القائمة على التصورات والتخمينات، فاكتشافه لمكونات الهواء أتى ليحل بعض الأساطير العلمية القديمة منذ الزمن الإغريقي، وبعد لافوازييه أصبح من الممكن الحديث عن الهواء والماء كمجموعة من

---

[١] رجب، محمود: الميتافيزيقيا عند الفلاسفة المعاصرين، ١٩٨٦، دار المعارف، مصر، ص ١٣.

[2] Mell, John Stuart: August Comte and Positivism, Serenity Publishers, Rockville, page 10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العناصر التي ترتبط بعلاقات كيميائية وفيزيائية وليس كعناصر مستقلة[١]، وفي نفس فترة لافوازييه شهدت حركة العلم قامة أخرى استثنائية وهي مايكل فارادي، الذي مهدت اكتشافاته في مجال الكهرومغناطيسيا - دون إنكار لأهمية الصياغة الرياضية التي قدمها جيمس ماكسويل - لتحقيق فكرة المولد الكهربائي[٢]، وضمن هذه الحالة من التقدم العلمي الجذري الذي أجرى التغير، على المراحل السابقة، من التصورات العلمية، أتت أفكار كونت لتكون مزامنة لواقعها.

نخلص، مما سبق، إلى أن كونت يذهب لتأسيس فلسفته الوضعية بناء على ثلاثة روافد أساسية:

١. فلسفي، مثلته الفلسفة التأسيسية لكانط بجرأتها على الميتافيزيقيا المتحصنة بأسماء كبرى في تاريخ الفكر الإنساني.
٢. علمي، يتوسد على مجموعة من الاكتشافات العلمية التي أطلقت طموح الإنسانية في بناء موقف جديد من الطبيعة لا يضعها في مرتبة التصاغر أمام ظواهرها على أساس عدم فهمها، وعجزها عن تفسيرها، وبالتالي التعامل معها بنفس غيبي ينعكس على العملية الفكرية الإنسانية ككل، ويحل مكان ذلك الاعتماد على العلم في فهم الطبيعة وتفسيرها.
٣. سياسي، يتسق مع متطلبات إقامة مجتمع جديد يتسم بالاستقرار بعد الأحداث التراجيدية التي أعقبت الثورة الفرنسية وحروبها التي قادها نابليون بونابرت، والتوق لدى الفرنسيين للوصول إلى نظام مستقر دفعهم لاستعادة عرش البوربون سنة ١٨١٤ بعد هزيمة نابليون الأوروبية، ثم الثورة لتحقيق ملكية تموز سنة ١٨٣٠، ثم خوض تجربة الجمهورية الثانية ١٨٤٨، وأخيرا الإمبراطورية الثانية لنابليون الثالث ١٨٥٢، هذه الظروف المتغيرة والمتتابعة جعلت المشروع الذي حمله كونت بمنزلة محاولة لبث الروح في فرنسا من خلال سعيه لتنظيم المجتمع ونقله لطريقة تفكير جديدة.

إن هذا الخط الزمني المتعلق بالتاريخ الفرنسي ألقى بظلاله على القارة الأوروبية بأسرها، ولم يكن فيلسوف كبير آخر كهيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (١٧٧٠- ١٨٣١) ببعيد عما يعتمل في فرنسا، وهو يصف الثورة الفرنسية بأنها "شروق مدهش للشمس"[٣]، وينبهر بشخصية نابليون Napoleon Bonaparte (١٧٦٩ – ١٨٢١) لدرجة أنه يكتب لصديقه فريدريش نيت هامر

---

[١] المعصراني، بسام: الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق ص ٨٠٨ (المجلد ١٦).
[٢] حصري، أحمد: المرجع السابق، ص ١٧٩ (المجلد ١٤).
[٣] لوفيفر، جان لوي، هيجل والمجتمع، ترجمة: منصور القاضي، ١٩٩٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Friedrich Niethammer (١٧٦٦ – ١٨٤٨) لدى رؤيته العيانية الأولى لنابليون "هذا الصباح رأيت الإمبراطور (نابليون)، روح العالم، يمضي عبر المدينة، إنه شعور مدهش أن تراه شخصيا، متمثلا بكل ما يعنيه في مكان واحد، يملك العالم كله من صهوة جواد، إنه لمن المستحيل ألا تعجب به"[١].

أوروبا في النصف الأول من القرن التاسع عشر تجمع البعدين الزماني والمكاني لظهور الفلسفة الوضعية، وهي فلسفة يمكن أن توضع في مكانة متقدمة مع فلسفة كل من هيجل وماركس، وتتفق معهما في أنها كانت محاولة للاستجابة لتحديات المرحلة التي عاصرتها، وأنها بحث عن حل لمشكلة استغرقت جميع وجوه الحياة في أوروبا، وهذه الجزئية يجب أن لا تغيب عن الدراسة في أوراق أي منجز فكري في ذلك العصر، إن الفلسفة، بمجملها، تتحرر بدرجات متفاوتة من الميتافيزيقيا، وتحاول أن تكون أكثر إنسانية، وقدرة على التعامل مع الواقع، فلم تعد الأسئلة الكبرى الخاصة بالوجود هي التي تشغل الإنسان، وأصبحت الفلسفة معنية بإيجاد حلول للمواضيع الراهنة التي تتعلق بالحصول على حياة أفضل للإنسانية، دون أن تضيع الوقت في محاولة البحث عن بدايات الأشياء أو أصولها، وأيا يكن تصنيف المنجز الفلسفي، ماديا أم مثاليا، فإن معطياته إنسانية تتجاوز النزق التأملي الذي تسيد العصور الفلسفية السابقة.

إن بلورة الفلسفة الوضعية في نسختها الكونتية مسألة ليست سهلة، على الإطلاق، فكونت كان غزيرا في الانتاج، واستمر في العمل على تطوير فلسفته الوضعية لفترة طويلة من الزمن واجه فيها العديد من المصاعب المادية والنفسية، كما أن المرحلة الأخيرة من مسيرته الفكرية مثلت تحولا كبيرا في مجمل انتاجه، فهو لا يكتفي بأن يؤكد أهمية الدين، وإنما يضع طقوسا لدين يكون هو كاهنه الأكبر، إنه يتخطى التأمل ليصل إلى التهويم في عمله، وعلى ذلك فإن الوضعية يمكن أن تعتبر إلى حد ما فلسفة في العلم والتاريخ، وفلسفة في تاريخ العلم، وفلسفة واقعية، وفلسفة اجتماعية، بنظرة وظيفية بما أنجزه كونت، إلا أن النقطة الصعبة في تحديد هوية فلسفته هي تصنيفها بأنها مثالية أم مادية.

ولا تنتهي المشكلة عند تحديد هوية الفلسفة الكونتية ، فالمسألة وإن كانت تبدو محسومة مثلا، في الموسوعة الفلسفية السوفيتية (م. روزنتال و ب. يودين) بأن النظرية الفلسفية لكونت

---

(1) Aveneri, Shlomo: Hegel's Theory of the Modern State, Cambridge university Press 1972, page 63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثالية ذاتية ولا أدرية[١]، فإن مراجعة أعمال كونت ورؤاه تجعله على الرغم من ميله للمثالية في موقع أو آخر بعيدا عن المقارنة بالمثاليين الألمان، كما أنه يبدو أقرب من معاصره هيجل إلى النظرة المادية للعالم، وأكثر تحررا وأقل انضباطا في مجمل مشروعه الفلسفي من هيجل، وفي موضعة هيجل مقابل كونت، ضمن موضعة أكبر للمذهب الجدلي في مواجهة المذهب الوضعي، يرى إلياس مرقص (١٩٢٩ – ١٩٩١) ، أن كونت خليفة ديكارت في اتجاه، وهيجل خليفته في الاتجاه المعاكس. ويصف كونت بكاريكاتور للعقلانية[٢]، كما أن مرقص لا يجد غضاضة في وصف كونت بهيجل فرنسا[٣]، وذلك للتدليل على أهمية كونت، وإن كان يضع تحفظه على الفرق الكبير بين كونت وهيجل في النشأة والأصول – بالمعنى الفكري والمعرفي – فيرى أن هيجل يبقى تابعا للمسيحية ولوثر Martin Luther (١٤٨٣ – ١٥٤٦) ، وللفلسفة اليونانية ومسائلها، ومدارسها، ولأرسطو Aristotle (384 BC – 322 BC) وياكوب بوهم Jakob Böhme (١٥٧٥ – ١٦٢٤)، ولديكارت وبيكن ولوك John Locke (١٦٣٢ – ١٧٠٤) وسبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢ – ١٦٧٧) ولايبنتس Gottfried Leibniz (١٦٤٦ – ١٧١٦) ، ولآدم سميث Adam Smith (١٧٢٣ – ١٧٩٠) ومسألة العمل والقيمة، وللثورة الفرنسية وكنط والفلسفة الكلاسيكية الألمانية، ويراه لذلك خلاصة أوروبا المفكرة[٤]. في المقابل فإنه يرى لكونت صلة مع بعض الأصول الفلسفية أو الفكرية العامة، ولكنه "متجاوز" إياها ومتقدم عليها في إتجاهه هو. وكما يرى مرقص، يبقى كونت بلا صلة حقيقية مع الفلسفة الكبرى، فصلته هي مع العلوم والتقنيات والصناعة الفاتحة، وهنا يقع مرقص في خلط، ويوقع فيه القارئ معه، فهو يقرر أن كونت مع "عصره" في الوقت الذي يؤكد فيه قبل سطور قليلة بأن هيجل ابن عصره، علما بأن هيجل وكونت تقريبا إبنا عصر واحد، وقد تعايشا فعليا لمدة ثلاثة وثلاثين عاما، وباعتبار النضج المبكر الذي دفع كونت للتعايش مع المسألة الفكرية حوالي سنة ١٨١٧ فإن التعايش الفكري كان يصل إلى عشرة أعوام على الأقل، ولا يمكن بأية حال أن يعتبر كل من كونت وهيجل ابني جيلين مختلفين في الفكر الأوروبي، وكل ما في الأمر أن كونت ينتمي لعالم القرن التاسع عشر أكثر من هيجل.

مع مرقص نرى و نستنتج أن الطبيعة المتمردة، لدى كونت، هي أحد المصادر في تكوين نظريته الفلسفية، فموقفه تجاه الفلسفة، وأيضا العصر السابق، موقف الرفض، فهو رجل الإجابة

---

[١] م. روزنتال و ب. يودين: إشراف، سمير كرم: ترجمة، الموسوعة الفلسفية ط ٢ ٢٠٠٦، دار الطليعة بيروت، ص ٣٩٧.
[٢] مرقص، إلياس، المذهب الجدلي والمذهب الوضعي، ١٩٩١، غير معروف دار النشر، ص ٩.
[٣] المرجع السابق، ص ٣٠.
[٤] المرجع السابق، ص ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإيجاب[١]، وبناءعلى ذلك، يمكن اعتبار كونت شخصية ثورية في تاريخ الفكر والفلسفة، ولا يمكن أن ينظر لمنجزه بمعزل عن التأثير الذي أحدثه، أو "المناخ" الذي أحدثه، بحسب ما يصفه مرقص، ومن أهم المتأثرين بكونت العالم اللغوي الفرنسي الكبير ليتره Émile Littré (١٨٠١-١٨٨١) ، صاحب قاموس المعارف باسمه، وغيزو François Guizot (١٧٨٧ - ١٨٧٤) رجل السياسة والمؤرخ الفرنسي، وإرنست رينان Ernest Renan (١٨٢٣ – ١٨٩٢) الفيلولوجي والباحث الفرنسي في أصول المسيحية، وإميل دوركيم Émile Durkheim (١٨٥٨- ١٩١٧) عالم الاجتماع الذائع الصيت، وهربرت سبنسر Herbert Spencer (١٨٢٠ – ١٩٠٣) صاحب المذهب المعروف بالتطورية، وستيورات ميل صاحب "طريقة العلوم"، ووليم جيمس William James (١٨٤٢ – ١٩١٠) صاحب مذهب البراغماتية[٢].

إنها مائة عام من التأثير، تقريبا حتى منتصف القرن العشرين، المرحلة التي شهدت صعود الوضعية المنطقية وتراجعها، والتي تعنى هذه الدراسة باستعراضها، تعد فعليا ثورة في عالم الفكر، إلا أن جان لاكروا Jean Lacroix (١٩٠٠ – ١٩٨٦) ومنطلقا من نفس المقارنة (المغرية) بين كونت وهيجل، يرى أن مشكلة أوغست كونت هي مشكلة الجمع بين التقليدي والتحرر، بين الفكر المحافظ والفكر الثوري[٣]، كما يرى في سياق العلاقة، بين هيجل وكونت، أن الأخير كان يهوى التشبه بهيجل، ويدعي أنه يكمل مهمة التوفيق نفسها، أو بالأحرى، تجاوز الفكر القديم والفكر الجديد، ودفع الانتقائية الفرنسية والهيغيلية الألمانية إلى القيام بنفس الدور المتحرر – المحافظ[٤]، ويرى لاكروا في تقييم عام لا يخلو من الاستسلام للبلاغة على حساب الحقيقة، أن الوضعية تنتمي رغم كل ضعفها إلى العقلانية الفرنسية التقليدية، ومن وجهة النظر هذه، يمكن النظر إلى كونت على أنه ((متمم لديكارت ومكمل له))، إلا أن النقطة الأساسية التي لا تجد إجابة واضحة، هي أن كونت الذي تعامل مع كتابات هيجل لم يتمكن من استنطاقها جدليا، بحيث يضمنها في قراءته التاريخية، التي يمكن أن تتخلص في تجليها ضمن قانون الحالات أو المراحل الثلاث، فالتقابل بين الطرح الهيجلي في قراءته للعالم وروحه مع قراءة كونت واضح، وأحدهما يتضاد مع الآخر في تفسيره لتطور الفكر الإنساني، إلا أن شيئا لم يكن ليحول فعليا دون أن يستفيد كونت من المعالجة الجدلية لفهم فكرة التطور، بدلا من اعتماده على التقدم الخطي القائم على مراحل متمايزة.

---

[١] المرجع السابق، ص ٣١.
[٢] المرجع السابق، ص ٢٩.
[٣] لاكروا، جان، ترجمة: منى الرافعي، أوغست كونت، ١٩٧٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٧.
[٤] المرجع السابق، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الإغفال الذي يبدو تجاه هيجل يجعل كونت يحظى بنقد لاذع من إلياس مرقص، الذي يضع قراءة كونت للتاريخ مقابل قراءة هيجل، الوضعية مقابل الجدلية، ويقرر أنه: "مع الجدلانية ضد الوضعانية. مع هيجل ضد أوغست كونت، والجدلانية هي التي تنصف العقل الوضعي الإيجابي، بإقامتها الحد عليه، بإدانتها من العتبة مذهبه وعقيدته ودينه. الجدلانية جدل النفي، العامل بأكبر المجردات، المؤكد لفكرة "التقدم الدائري" أو "النمو الدوائري"[١].

إن التقدم الدائري القائم على الجدل/ الصراع بين الأضداد هو الأساس في عملية قراءة التاريخ الهيجلية، في الوقت نفسه، فإنه يمكن تفسير تجاهل كونت للجدلانية – كما يسميها مرقص – بسعيه إلى تحقيق الاستقرار، إن الجدل لا يمكن أن يتغاضى عن جانب من الصراع، وفكرة كونت التنظيمية ساعية من المبدأ تجاه الاستقرار. إنه من خلال تجاوره مع فكر سان سيمون لا يمكنه أن ينحي فكرة المصلحة العامة، الوصول إلى يوتوبيا اجتماعية، تصوره الخاص لتسوية أو تصالح ليضمن مستقبلا أوروبيا أفضل، يمكن أن ذلك تطلب منه أن يضع كثيرا من مصادراته الخاصة في بناء فلسفته الوضعية.

وإن يكن مرقص لا ينكر التأثير الذي خلفه كونت في العقلانية، وفي مجمل العقل الأوروبي، إلا أنه يحاكمه ويصدر تجاهه تقييما يقلل كثيرا من قيمته، ويتصور أنه يضعه في موقع متواضع مقابل المنجزات الفلسفية الأخرى:

"يوجد في العصر الحديث عقل ديكارتي، وعقل هيجلي، وعقل وضعاني. الثالث انحطاط الأول. الكونتيون يتصورون أنهم "تجاوزوا" الأصلين، أي العقلانية العظيمة والتجريبية العظيمة (الماديانية والمثالية)، دمجوا الأصلين في "العلمية" و"القانونية"، الوضعانية أسوأ عقل ممكن، وبالحقيقة، أنها على صعيد اللغة أو الخطاب، ليست مع العقل ولا مع الحقيقة، بل مع "العلمية" ومع "الخصوصية". وهذا العقل الأسوأ أثر تأثيرا سيئا على فكر النهضة العربية، فكر عصرنا الليبرالي. هذا الفكر ضل بوجه عام بعيدا عن هيجل وعن الفلسفة، إنه مبهور بأوروبا المتقدمة التي وصلت، يجهل ويتجاهل مسيرة الصعود، أي الشيء الأهم"[٢].

يقع مرقص في ثنائية الأبيض/الأسود، ويعزف عن التطلع أو التأمل في اللون الرمادي. في اعتقادي أن كونت أكثر من منافس لهيجل، إنه نقيض، وإذا كانت الجدلية أو الجدلانية، والتطور أو التقدم الدائري هو المقبول لديه، فإنه للدقة يتخذ أشكالا لولبية وليست دائرية، بمعنى أن

---

[١] نقلا عن: مرقص، إلياس: نقد العقلانية العربية ١٩٩١، دار الحصاد: بيروت، ص ١٧.
[٢] نقلا عن: المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحرك أفقيا وعموديا، إن أي تتابع خطي للتاريخ، أو تراكم عمودي، هو عملية تعدي على التاريخ، ومسألة تقع خارج المنهج السليم. إن كونت مؤثر، تلك مسألة لا ينكرها مرقص، ولكنه محامي الشيطان في العقل الأوروبي، كما نقرأه من خلال مرقص، في المقابل لا نرى في كونت تلك الشيطنة للعقل من خلال نفيه وتعطيله، وتحويله إلى مجرد أداة تنظيمية للخبرات الإنسانية التي ترد حصرا عن طريق التجربة، وإنما نراه يبحث عن منهج اتفاقي للعقل، عقل مشترك، بسيط، يمكن أن يعمل بعمومية وأن يشترك فيه الجميع، عقل يمكن وصفه بالاشتراكي، المنفتح، كما نرى أن تجاهل قانون الحالات الثلاث لمسألة التقدم الجدلي / الدائري، هي نزعة كونتية للتبسيط، لاستخلاص النتائج العامة، تطبيق أدوات رياضية لتلخيص الواقع والخروج بنتائج، تماما كما يستخدم التكامل الرياضي في قياس المساحات، كونت يستخلص من التاريخ ما يعزز نداءه الوضعي، وفي مشروع كإرساء مذهب الوضعية يصبح هذا التصرف مسوغا إن لم يكن مشروعا أيضا، ومطلوبا.

لنتساءل، أي كونت يعنيه مرقص، كونت صاحب دروس في الفلسفة الوضعية، أم صاحب "نظام السياسة الوضعية"، كونت الجيد أم كونت السيء، بحسب توصيف ميل [١]، كونت الباحث في العلوم وقوانينها، أم الهائم في الدين وطقوسه، مشكلة كونت في انقلابه الذي أنجزه على ذاته، الخروج غير المسوغ نحو مساحة من الضعف الإنساني التي تحتاج في نهاية إلى إله، وفي حالة كونت تحديدا، فالمسألة لا تتوقف على ذلك، الإله ليس المشكلة، الأزمة هي المعزي.

إن التحرر من المقارنة بين هيجل وكونت، والتخلص من تصنيف كونت فيلسوف تاريخ، ووضعه في مكانته الطبيعية ضمن التاريخ الفلسفي، يمكنه أن يعطي صورة أكثر توازنا، فدوكاسيه، وأثناء استعراضه لكونت ضمن مجموعة من الفلاسفة المعاصرين يرى الوضعية كمصدر وحي لجميع تيارات الحركة التقليدية، وتيارات الفلسفة الاجتماعية، كما أنها رفعت مستوى هذه التيارات إلى مرتبة عقلية سامية، فحولت التأمل السياسي إلى بناء فكرة ايجابية[٢]، ويتابع دوكاسيه أن سعي كونت لتنسيق المجتمع بواسطة العلم يتطلب تعميم الوضعية العلمية على جميع مظاهر الحقيقة، وحتى على الوقائع السياسية، وينظر دوكاسيه إلى قانون الحالات الثلاث على أساس أنه قانون تقدم العقل، وأن هدفه أن ينشئ صلة بين التطور العلمي والتقدم الاجتماعي،

---

(1) Bourdeau, Michel, "Auguste Comte", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2011 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL <http://plato.stanford.edu/archives/sum2011/entries/comte/.

[٢] دوكاسيه، بيير، ترجمة: جورج يونس، الفلسفات الكبرى سنة ١٩٨٣، منشورات عويدات: بيروت، ص ١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل ذلك يعفيه من الحلقة التي نصبها حوله مرقص ليضع المشروع الذي حمله في قانونه كقراءة للتاريخ يجب أن توضع بمحاذاة ما قدمه هيجل.

من الناحية المعرفية وبتتبع تطور نظرية المعرفة في فلسفة كونت، فإن العالم المنتظم في علاقات تربط بين ظواهره، يزود العقل بالمعرفة من خلال الحواس، وإن كان ذلك لا يتنافى مع وجود قوانين قبلية في العقل كما يؤسس كانط في نقده للعقل المحض، ولكنه لا يمثل دليلا حاسما على رؤية كونت لموقع الإنسان من العالم، خاصة أن مجمل فلسفته يمركز الإنسان، فالكون خلافا للماديين ليس سوى ديكور باهت للاحتفاء بالإنسانية، وإن تكن هذه الأفكار في مرحلة متأخرة من مشروع كونت الفلسفي.

من أين ينطلق كونت؟ إن نقطة البداية، بحسب إميل برهييه، هي إعادة تنظيم المجتمع[١]، وهذه الإعادة تقوم على الإصلاح العقلي الذي يمكن المجتمع أن يتعامل مع العلوم الوضعية، بحيث تصبح هذه العلوم هي أساس التقدم الذي تطمح له الإنسانية، ويأتي دور الفلسفة لديه لتكون فلسفة للعلوم، ففي رأي كونت يجب أن "تتخذ الفلسفة أساسا للأخلاق والسياسة والدين. فليست الفلسفة غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة للوصول إلى غاية لا يمكن إدراكها بوسيلة أخرى"[٢].

إن كونت يبحث عن القواعد الجديدة التي يمكن أن يبني المجتمع تقدمه عليها، يبحث عن عقائد جديدة تنهي العلاقة مع جميع العقائد التقليدية القائمة، وهو في ذلك يقدم فهما جديدا لكل من مفهومي الإيمان والعقيدة "ففي الجزء الأول من حياته العملية لا يدخل ((كونت)) في ((الإيمان)): العناصر الصوفية والعاطفية وغير العقلية التي يتضمنها لفظ ((الإيمان)) عادة، والتي تجعله مضادا للعقل في كثير من الأحيان"[٣].

والعقيدة الجديدة، تتمثل فيما يمكن البرهنة عليه، وبما أن العلوم تتصف بالقابلية على اختبار مقولاتها، والتأكد من صحتها، وهو ما تفتقد له الفلسفة، ولكن الفلسفة تقوم بدور تنظيمي للعلوم، على أساس أنها تنقل المدخلات العلمية بطريقة منظمة للعقل، وعلى ذلك يتمكن العقل من العمل على بناء عالم جديد، إن الوصول إلى هذه المرحلة، التي يطلق عليها كونت "الوضعية" لم يكن ممكنا قبل أن تنجز الإنسانية نقلات نوعية في نظرتها إلى العالم، وهذا ما يقدمه كونت في قانون الحالات الثلاث، اللاهوتية، والميتافيزيقية، والوضعية، حيث يمكن أن يصل إلى اليقين من

---

[١] برهييه، إميل: تاريخ الفلسفة ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر: بيروت، الجزء السادس، ص ٣٤٣.
[٢] نقلا عن: بريل، ليفي: فلسفة أوجيست كونت ترجمة: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو مصرية: القاهرة، ص ٣٨.
[٣] نقلا عن: المرجع السابق، ص ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عالمه في هذه المرحلة، ولكنه ليس يقينا مطلقا، فالإنسان في المرحلة الوضعية لا يفكر بنفس الطريقة اللاهوتية أو الميتافيزيقية، فالمعرفة تنحصر في الظواهر، أما ما وراءها، فهو خارج الواقع، وليس ضمن تصنيف النافع.

إن جانبا كبيرا من سوء الفهم الذي يعتري قانون المراحل الثلاث الذي وضعه كونت [١]، يرتبط بحصر استخدامه لمصطلح لاهوتي بالجانب الديني أو الأسطوري، وحصر مصطلح الميتافيزيقي بالمفاهيم المتعلقة بالأسئلة الكبرى حول الوجود والجوهر وغير ذلك من مفاهيم. إن اللاهوتي، بالنسبة لكونت، هو كل تفسير قسري وتعسفي يرجع الظواهر إلى قوة عليا، وكأن ذلك نوع من "تفسير ظواهر الطبيعة ببعض الإرادات، لا ببعض القوانين" [٢]، أما في الاستعمال للميتافيزيقي فإنه يشبه، لدى كونت، ذلك التفسير القائم على وضع مجموعة من الأفكار التي لا تتصف بالواقعية، ولا يمكن أن تقع عليها التجربة، لتفسير جانب من الظواهر حول الإنسان، ومثل ذلك الأثير في علم الطبيعة، والمبدأ الحيوي في علم وظائف الأعضاء، والروح في علم النفس[٣]، وبذلك تعد المرحلة الميتافيزيقية تطورا للمرحلة اللاهوتية، وبدلا من القيام بإرجاع كل شيء إلى قوى (إرادات) تقوم على الأوهام والأساطير، فإنه يلجأ إلى تفسيرات أكثر تعقيدا، ويستخدم أفكارا وسيطة، بمعنى أن الإنسان، على المستوى الفردي، والإنسانية على المستوى العمومي، يضيف عمليات ذهنية جديدة في تعاطيه مع الطبيعة، والذهن الإنساني لا ينتقل من المرحلة اللاهوتية باتجاه المرحلة الوضعية مباشرة، وعن طريق تحول جذري، وإنما بواسطة التنقيح، أي تحويلات تدريجية[٤]، بمعنى أن كونت يعتبر تقدم المعرفة الإنسانية تراكميا[٥]، بمعنى أنه يقدم نظريته الخاصة في التقدم، ويمكن أن تضاهى هذه النظرية بما قدمه هيجل من تصور لتقدم التاريخ، على أنه يعتمد على النظر إلى التاريخ كعملية بنائية، لا تنطوي على التناقض الهيجلي، فلا تكتسب

---

(١) توجد مقدمات لقانون المراحل الثلاث في أعمال تيرجو وكوندرسيه وبيردان، ومع أنهم التفتوا إلى وجود التعاقب بين اللاهوتي والميتافيزيقي، والوضعي (العلمي) إلا أن أحدا منهم لم يقف على الأهمية العلمية للقانون، ويرى ليفي بريل في كتابه عن كونت وجود فارق بين مجرد استخلاص هذا القانون من الظواهر، وبين إدراك أهميته الرئيسة والتعرف فيه إلى القانون الأساسي الذي يسيطر على التطور العام للإنسانية، راجع، بريل، ليفي، فلسفة أوجيست كونت ترجمة: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو مصرية: القاهرة، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) ماشيري، بيار: كونت، الفلسفة والعلوم، ترجمة: سامي أدهم، ١٩٩٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت، ص ٣٣.

(٥) يرى Harald Hoffding في كتابه تاريخ الفلسفة الحديثة، أن كونت ينظر للمرحلة الميتافيزيقية بوصفها مرحلة انتقالية تتضمن عملية تدمير واختراق جدلي لحلقة الأفكار اللاهوتية، تعرض المفارقات التي تحتويها هذه الأفكار، وتضعها مع القوى التي تمثلها في موضع الشك أو عدم التيقن، الأمر الذي يضعف من سلطتها وتأثيرها كقوى يفترض أنها فوق طبيعية تحكم الحياة البشرية.

Hoffding, Harald: a history of modern philosophy, 1955: Dover Publications Inc, NY P 332.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراحل التي يقدمها كونت طابع الصراع على النحو الذي يقول به هيجل، وإن يمكن النظر لما قدمه كونت في هذا السياق على أساس فلسفة عامة للتاريخ[١]، فإنها قابلة لأن توصف بأنها فلسفة لتاريخ المعرفة، أكثر مما يمكن أن توصف بأنها فلسفة للعلوم أو تاريخها، فالعلوم هي الانعكاس للحراك المعرفي في التاريخ، والذي يضعه كونت في قانون الحالات الثلاث[٢]، ويمضي بتتبع المعرفة وصولا إلى المرحلة الوضعية.

إن كل مرحلة في التطور، بحسب كونت، لا تتبدى فقط في التطور العقلي الذي تحمله، وإنما تظهر في التطور المادي كذلك. ففي المرحلة اللاهوتية تسيطر المظاهر المعنية بالعسكرية، بالجيوش، وفي المرحلة الميتافيزيقية يسيطر النزوع إلى وضع القوانين والأنظمة، أما المرحلة الوضعية فهي مرحلة المجتمع الصناعي[٣]، ويمكن أن يمثل ذلك دليلا على بعض المشكلات التي تكمن في قراءة كونت للتاريخ، فمن ناحية تداخلت الصفة القانونية في مجتمع الإغريق بما مثلته أثينا من توجه لوضع الأنظمة وتطبيقها، في الوقت الذي عنيت اسبرطة بتكوين المجتمع العسكري الذي يعتمد على وجود علاقة وثيقة مع نظام كهنوتي، هذا على مستوى الحضارة الواحدة، وبينما كانت حضارة الآشوريين تعنى بوضع القوانين وصياغتها مع حمورابي كأحد معالم المرحلة الميتافيزيقية، كانت بنيتهم الفكرية والعقلية غارقة في الأساطير اللاهوتية، بما يدلل على عدم التلازم بين الصفات التي يضيفها لكل مرحلة من قانونه.

إن الوضعية، بحسب تصور كونت، هي مرحلة نهائية للتطور التاريخي، بمعنى أن كونت يبشر بوقوف التاريخ عند مرحلة ما، يخمن أنها اقتربت أو أن الإنسان يقف على تخومها "في النهاية فإن العقل سيقلع في المرحلة الوضعية عن البحث في الأسباب العقيمة للأفكار المطلقة، مثل أصل الكون ومصيره، وعلل الظواهر، وسيقوم بنفسه على دراسة قوانينها، والتي تنحصر في العلاقات الثابتة لتتابعها وتجمعها، الملاحظة والاستنتاج، مجتمعين سوية، هما الأدوات لهذه المعرفة"[٤].

---

(١) ماشيري، بيار: كونت، الفلسفة والعلوم، ترجمة: سامي أدهم، ١٩٩٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت، ص ١٨.

(٢) توجد تصنيفات فرعية داخل المرحلة اللاهوتية تتضمن الفيتشية، تعدد الآلهة، الواحدية، كما أن الميتافيزيقيا تطورت من أرسطو وحتى كانط.

(3) Macmillan Encyclopedia of Philosophy, Donald Borchert – editor in chief, Macmillan reference USA, Volume six, 2nd edition, page 410.

(4) Comte, Auguste, the Positive Philosophy,1868, translated by Harriet Martineau, New York p 26.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشكل المرحلة الوضعية، بحسب كونت، نقلة في مستوى النضج الإنساني، حيث يصل العقل إلى نتيجة مفادها أن ما يمكنه معرفته يرتبط بقدرته على الملاحظة والبرهان، واستنتاج القوانين التي تربط بين الظواهر، فينطلق من الجزئي نحو الكلي، ولكن الوصول إلى الكلية أو الحقيقة المطلقة، مسألة متعذرة، وبالتالي فإن الأسئلة المثارة حول أصل العالم ومصيره ليست ضرورية أو مفيدة، ويقول كونت: "إن الميزة الأساسية للفلسفة الوضعية هي ملاحظة كل الظاهرات كخاضعة لقوانين طبيعية ثابتة، حيث الاكتشاف الدقيق والاختزال إلى أقل عدد ممكن هو الهدف لكل جهودنا، وذلك باعتبار البحث عن الأسباب الأولى والنائية هو فارغ من أي معنى ولا يمكن الوصول إليها على الإطلاق"[١].

إن الملاحظة والبرهان والتعميم القائم على الاستقراء بوصفها أدوات علمية تصعد في الوضعية كأرضية لمرحلة جديدة يتوقف فيها الذهن عن تهويماته، ويدخل في عملية منضبطة للتعامل مع الطبيعة المحيطة به، وبذلك يمكن أن تعتبر الوضعية فلسفة علمية، وعلى الأقل بحسب ما يتأسس في تلك المرحلة من رؤية للعلوم الإنسانية.

إن الفلسفة العلمية هي الفلسفة التي تعنى بعالم المحسوسات، المادي، والقابل للقياس[٢]، وبذلك فإن الفلسفة الوضعية تتقاطع وتتلاقى مع الفلسفة الماركسية، بتخلصها من أوهام الماورائية، وإن تكن هذه الفلسفة تدين لكانط، كما أن الماركسية تتشابك مع هيجل، وكذلك فإن الوضعية أيضا، ومن خلال ما اتخذته من تصنيف للعلوم يسعى لتنظيمها تقترب من أن تكون فلسفة للعلوم، ولكن كونت نفسه، لا يذهب إلى أن فلسفته القريبة من مفهوم الفلسفة العلمية، هي كذلك بالفعل، فهو يراها ذات معنى أضيق من صيغة "فلسفة علمية".

"لأنها لا تأخذ على عاتقها المعارف المتعددة الخالصة والخاصة بحقل البحث في كل علم، لكنها تهتم فقط ب "الدراسات الخاصة لعموميات العلوم المختلفة، مفهومة على أنها خاضعة لمنهج وحيد، ومشكلة الأجزاء المختلفة لمخطط عام في البحث"[٣].

---

[١] نقلا عن: ماشيري، بيار: كونت، الفلسفة والعلوم، ترجمة: سامي أدهم، ١٩٩٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت، ص ٣٧.

[2] Dingle, Herbert: The Scientific Adventure: Essays in the History and Philosophy of Science, 1953, Philosophical Library Inc., p 193- 194.

[٣] نقلا عن: ماشيري، بيار: كونت، الفلسفة والعلوم، ت: سامي أدهم، ١٩٩٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الوضعية يمكن أن تكون منهجا أو طريقة في البحث، فضلا عن أنها فلسفة، كما أنها تسعى في النهاية لتأسيس علم وضعي، يمكن أن يوصف بعلم العلوم، وهو مختلف بالضرورة عن علم الاجتماع الذي يراه كونت أرقى العلوم، ومحصلة التطور المنطلق من الرياضيات إلى العلوم الأخرى، فالعلم الوضعي، والدين الوضعي، هما مصطلحان مرتبطان بكونت، إلا أنه يتعذر وضعهما في سياقات خارج ما كتبه كونت، وضمن شروط يمكن تأسيسها للوضعية في مراحل لاحقة من تطورها التاريخي، فكونت أسس للوضعية لتكون نظاما للحياة الإنسانية، يضم جوانب عملية وتطبيقية، وبذلك تجاوزت فلسفته الجانب النظري وتشعبت بحيث تضم العديد من الجوانب النظرية والأنظمة الفرعية ومجالات البحث المختلفة.

هل ثمة سوء تفاهم حول كونت وفلسفته؟ يمكن أن ينطلق ذلك من حيث المبدأ من اختياره لمصطلح الوضعية، في حالة افتراض أنها الترجمة الدقيقة، وليست الايجابية التي يستخدمها يوسف كرم مثلا للحديث عن فلسفة كونت. فالبحث الإيتمولوجي (التأثيلي) في جذور الكلمات بحسب بعض القواميس يتجاهل كلمة (positive) وتراها فرعية من كلمة (position)، القريبة في ترجمتها من وضع، وضعية، موقف، وتستخدم لتدلل على مكانة اجتماعية أو إدارية ضمن مؤسسة، وفي قاموس أكسفورد، موضع، موقع، وضع، موقف، رأي، حالة، منزلة، مركز، ترتيب، وظيفة، يضعه في وضع معين، والمعنى الأخير في القاموس الإيتمولوجي المتوفر على شبكة الانترنت[1] هو ما يعني الاستعمال الأولي لكلمة (positive) في القرن الثالث عشر وفي الفرنسية القديمة، بمعنى أن يحدده ويقيده بقوانين، من الكلمة الفرنسية (positif) وقبلها الأصل اللاتيني (positivus) بمعنى تم تقريره باتفاق تعسفي، أي قسرا، وتوضع مباشرة ضد طبيعي (natural)، كما تعني أيضا يضع في مكان أو آخر، وأصبحت لاحقا تستخدم بمعنى الكلام غير الموثوق به، أو للدقة غير المعزز بدليل أو برهان، وأخيرا بمعنى الثقة في الرأي، وفي القرن الثامن عشر استخدمت في الرياضيات، بينما استخدمت بما يمكن أن يفهم بأنه الايجابي، واستخدمت في علم النفس سنة ١٩١٦ بمعنى البناء والجيد. نعتقد أن كونت يستخدم، وبحسب عصره، الوضعية كمرادف للتنظيمية أو القانونية، أي أنها فلسفة التنظيم، ويتسق ذلك مع غايته من عمله الفكري، تنظيم المجتمع من خلال علوم منظمة، ونرى أنه يمكن النظر في الترجمة العربية بحيث تصبح الفلسفة التنظيمية، وليس الوضعية، فما يتصوره بعض الدارسين أن الوضعيين مرتبطون بالقوانين الوضعية، التي هي عكس الإلهية، وليست مقابل الطبيعية، ويمكن أن يكون ذلك حلا لإشكالية مزدوجة تخرج من المعاني المتعددة والكثيرة لتعبير الوضعي في اللغة العربية،

(1) http://www.etymonline.com/index.php?allowed_in_frame=0&search=positive&searchmode=none

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقترب أكثر من طبيعة أعمال كونت، فكونت في أحد وجوهه يضع ثقته في الإنسان في مواجهة الطبيعة التي أوحت من قبل بتحويل قواها إلى رموز دينية كما تمت ترجمته في المرحلة اللاهوتية من وجهة نظره، وعلى ذلك فإن الوضعية هي النقيض الكامل للاهوتية، بينما الميتافيزيقية مرحلة وسطية، ولا نعتقد أن التناقض يداخل هذه الوجهة، فالقول بأن الوضعية ليست مضادا للإلهية، يختلف عن القول بأن الوضعية نقيض للاهوتية، فاللاهوتية هي نظام من الممارسات والأفكار والقيم، بينما لم يكن كونت معنيا بصورة جوهرية بأن يخوض في مسألة الذات العليا، المحرك الأول، الكامل المنزه، بقدر ما هو معني بدراسة المجتمع الإنساني، وتبقى الثقة في الإنسان وقدرته على تنظيم حياته والوصول إلى الاستقرار بمختلف معانيه هي الغاية من وراء ذلك.

إن وحدة العلوم مسألة جوهرية، لدى كونت، فهو يبحث عن العلاقات الكلية والقوانين العامة، لتكون بديلا نهائيا عن البحث عن الحقائق المطلقة، فمجال البحث ممكن في العلاقات والقوانين، في المقابل، لا يجدي أن تتحول الحقيقة لموضوع للبحث، حيث حاولت الميتافيزيقيا لقرون طويلة أن تصل لحقائق مطلقة. ويبني كونت تصوره للعلوم الأساسية التي تشكل في كليتها تطورا للعلم، وهذا التصور لا يقوم على التتابع، فالرياضيات بحسب كونت تعد أداة ضمن أدوات أخرى كثيرة، ويرفض أن يتم التوسع في الاعتماد عليها[١]، وللرياضيات حدود في التعاطي مع الظواهر، فكل ظاهرة طبيعية وإن أمكن معالجتها رياضيا، فإن بعض الظواهر تبدو بعيدة عن إمكانية احتواء تعقيدها مثل الظواهر الحيوية (البيولوجية) وظواهر علم الاجتماع، ولا يمكن أن يتفهم التعامل مع الرياضيات في منظومة كونت بعد تقريره بأن العلوم تتطور بحسب المنطق الخاص بها[٢]، إلا أن البناء التصاعدي للعلوم (القائم على درجة تعقيدها)[٣] ينطلق من الرياضيات نحو الفلك والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء (مشتملا لعلم النفس)، وصولا إلى علم المجتمع، بجانبيه السكوني والحركي، إلا أن مجموعة الآراء التي يقدمها كونت تجعل الرياضيات تبدو وكأنها أداة تتناقص أهميتها مع التقدم العلمي، بينما يمكن فصل العلوم الأربعة التالية، والتعامل مع علم الاجتماع بوصفه نتيجة أو غاية، وهو ما يمكن تمثيله في النموذج التالي:

الفلك والفيزياء والكيمياء والأحياء

علم الاجتماع ⟵

الرياضيـــات

---

(1) Macmillan Encyclopedia of Philosophy, Donald Borchert – Editor in Chief, Macmillan Reference USA, Volume six, 2nd edition, page 411.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم: بيروت، ص ٣٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن السؤال الذي يثار، ويمكن أن يبقى مثارا يتعلق بمدى إمكانية وجود القانون العام، المنهج الشامل، ومدى تداخل الشبهة الميتافيزيقية في إمكانية وجود القانون/ المنهج، وكأن القانون العام، الكلي، الشامل، ليس إلا صورة أخرى للحقيقة المطلقة، الأسباب الأولى، وغيرها من الأوهام الميتافيزيقية. إن العلوم التي يراها كونت تطورت وتصاعدت في التعقيد أثبتت، المرة بعد الأخرى، أنها كانت غارقة في التصورات الميتافيزيقية، وأن كثيرا من فرضياتها كانت تعبيرا عن تحيزات، أو تفسيرات متعجلة لمعلومات متاحة أثبت التقدم العلمي أنها لم تكن كافية؛ هل العلوم، على ما يبدو، وبحسب التجربة التاريخية، غير قابلة للانتهاء، وانجاز مهمتها بالكامل؟ العلم، كما أراه، لا يمكن أن يكون إجابة عن الأسئلة الميتافيزيقية، حيث أنها تظل دائما قيد التطور، وبالتالي فيجب استبعاد هذه الأسئلة من البداية، حيث أن هذه النوعية من الأسئلة ستبقى مستعصية حتى في ظل التقدم العلمي المطرد.

التطورات العلمية التي حولت مسار الفكر الغربي:

موجة أخرى من الاكتشافات العلمية مع بداية القرن العشرين أخذت تشكل خطوة للأمام في النظرة الوضعية للعالم، والواضح أن الإنسان أصبح أكثر ثقة بنفسه في تعامله مع الطبيعة، أو أكثر تواضعا، لا يمكن الجزم بذلك، والنظر في مسيرة الإنسانية بشكل عام يشي بأن النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبعد العديد من المنجزات العلمية كان الوقت المناسب للدخول في مواجهة مع صروح الميتافيزيقيا، ليست قائمة على المواربة، أو الوصول إلى تسويات ، وكانت المسألة تكمن في البديل، وقد تقدم أرنست ماخ Ernest Mach (١٨٣٨- ١٩١٦) بجرأة للبحث عن ذلك البديل، وفي كتابه الفلسفي الأكثر أهمية في مشروعه "تحليل الاحساسات". ينطلق ماخ من مناهضة الميتافيزيقيا، ويطرح بديله المتمثل في التعامل مع العالم على أساس أنه مجموعة من الاحساسات، ويصبح العقل، من وجهة نظره، وسيلة للتعامل مع هذه الاحساسات، وفرزها وتصنيفها.

إن المرحلة التي شهدت تفتح وعي إرنست ماخ هي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويمكن اعتبار أن العالم في هذه المرحلة استطاع أن يستوعب الكثير من أوجه التقدم التي أثرت على الحياة في أوروبا، فالصناعة مثلت قفزة مهمة في الحياة الأوروبية، وشبكات المواصلات القائمة على القطارات البخارية اختصرت المسافات، والجامعات تصدرت الحياة النخبوية في المدن الأوروبية الكبيرة، وكذلك تزايد عدد سكان المدن بصورة مستمرة، وعلى المستوى الفكري كانت أفكار داروين في العلوم الحياتية تشغل العالم، وأثناء طفولة ماخ، نشر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لودفيج فيورباخ Ludwig Feuerbach (١٨٠٤ – ١٨٧٢) كتابه "جوهر المسيحية" الذي طرح فيه الدين بوصفه استجابة للحاجات الإنسانية، وعلى المستوى الاجتماعي كان البيان الشيوعي الذي صاغه كارل ماركس وفريدريك انجلز سنة ١٨٤٨ يلقي بظلاله على التاريخ الأوروبي والعالمي اللاحق ككل، ودرس ماخ الفيزياء في جامعة فيينا اعتبارا من سنة ١٨٥٥، وبدأ مسيرته الأكاديمية مع تدريس الرياضيات في جامعة غراتز، وتوجه لاحقا إلى جامعة سالزبورغ وحصل على كرسي الفيزياء التجريبية في جامعة تشارلز في براغ لمدة ثمانية وعشرين عاما قبل أن يعود إلى فيينا من جديد سنة ١٨٩٥، ويبدو أن النقلة الأخيرة كانت لأسباب سياسية، فماخ كان من المعارضين للنزعة القومية التشيكية لمصلحة بقاء السيطرة الألمانية حتى على مستوى لغة التعليم.

إن ماخ يتقدم بالوضعية، ويعتبر المعلم الأساسي في تقدمها من الأصول الكونتية تجاه الوضعية المنطقية، أو الوضعية الجديدة، وعلى ذلك فإن وضعيته تختلف كثيرا من وضعية كونت، ولعل ماخ لم يصف نفسه بالوضعي، وحتى مذهبه الفلسفي الذي أصبح مرتبطا باسمه، يدعى المذهب النقدي التجريبي، كما أن المتأثرين بماخ لا يمكن أن يصنفوا ضمن الوضعيين المتأثرين بكونت سواء في الفلسفة الإنجليزية أو الأمريكية، ويبدو أن النقطة الأساسية التي تجمع كل من ماخ وسلفه كونت، تتركز في رفض الميتافيزيقيا ومناهضتها، الوضعي يبدو وكأنه نقيض للميتافيزيقي، قبل أي شيء آخر، وبحسب لالاند فإن الوضعي أو الايجابي يدل على الواقعي في مقابل الوهمي، ويتابع في موسوعته، بأن ذلك "يتناسب تماما مع العقل الفلسفي الجديد، المتسم بثبات تركيزه على الأبحاث التي يمكن لعقالتنا أن تبلغها حقا"[١]، ومن هذه الناحية يمكن أن يلتقي ماخ مع كونت، وفي الخطوة التالية يكون اللقاء حول شرعنة العلم كبديل للميتافيزيقيا، فماخ في النهاية يصنف كفيلسوف علم.

يعتبر ماخ صاحب إضافة كبيرة في مسار الوضعية، إن لم يكن كفلسفة، وإنما كنظرة للعالم، فالمذهب النقدي التجريبي الذي وجه له المنظر الماركسي والقائد الشيوعي فيلاديمير لينين نقدا لاذعا في كتابه "المادية والمذهب النقدي التجريبي" يتطرف في نظرة معادية للميتافيزيقيا، فالعالم لدى ماخ مرتهن بالكلية للإحساسات، وليست الأشياء التي تقع خارج الذات هي العالم، وإنما صفاتها، هذه العوارض تصبح لدى ماخ ذات أثر مركزي في العالم.

"الألوان، الأصوات، درجات الحرارة، الضغوط، الأمكنة، الأوقات، وما إلى ذلك، ترتبط ببعضها البعض بالعديد من الطرق والتنويعات، وهذه الترابطات هي التي تعبر عن العناصر

---

[١] موسوعة لالاند، ص ٩٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المذكورة في الذهن والإحاسيس والإختيارات، وهذه الترابطات التي تتباين في ثباتها وديمومتها هي التي تبقى في الذاكرة ويمكن التعبير عنها بواسطة اللغة، وعادة فإن الترابطات النسبية فإنها تتواجد أكثر من الترابطات الدائمة، في البداية عن طريق ترابطات من الألوان والأصوات والضغوط، وغير ذلك من عناصر، وتتصل هذه الترابطات وظيفيا بالزمان والمكان، وتكتسب بناء على ذلك أسماء خاصة، وتدعى أجسادا، وتبقى في أذهاننا على هذا النحو بينما الترابطات نفسها فهي غير باقية"[١].

إن نص ماخ يسير عكس اتجاه التصور الميتافيزيقي للجوهر، فليس لديه جوهر يمكن أن يظهر بعد أن يتم نزع صفاته عنه، ولكن هذه الصفات أو العناصر التي يمكن إدراكها حسيا، مثل اللون، الصوت، درجات الحرارة،... وغير ذلك، تصنع الترابط الخاص بها بصورة مميزة لكل جسد أو شيء، وهو ما نطلق عليه اسما، ونقوم بتخزين هذا الترابط في الذاكرة ونستخدم الاسم الذي أطلقناه عليه في اللغة اليومية، ولكننا لا نعود ندرك الكيفية التي تم من خلالها تضافر العناصر المكونة له، وإنما نتعامل مع المحصلة النهائية المتمثلة في الشيء الذي ندركه.

يتحدث ماخ عن أشياء أساسية، مطلقة، مرجعية، تآلفها وتراصفها، يؤدي إلى بنى يمكن أن يتعامل معها الحس دون أن يرجعها إلى مفرداتها الأولى، ولكن هذه المفردات بالنسبة للذاكرة والفكر تكتسب صفة مطلقة، هي الإحساسات الأولية التي تشكل مفردات عملية التفكير، والتعامل مع العالم الخارجي، ويبدو ماخ غير معني بأية أصول أخرى لهذه الإحساسات أو الأشياء الأولية، إنه فقط يتعامل مع الذهن كأداة لتفكيك رموزها، وتفهم ما تحمله من إشارات، هذه العبارات السابقة، من فصل يحمل عنوان "ضد الميتافيزيقا" من الكتاب الشهير، والأشهر على المستوى الفلسفي، لماخ، أعني "تحليل الاحساسات".

إن العالم، بالنسبة لماخ، نسبي، ومفرط في نسبيته، ولكن العالم، على هذه الشاكلة، لا يمكن أن يؤدي إلى وجود لغة مشتركة، أو معرفة عامة، ولذلك يتوجب عليه أن يخلق مجموعة من الرموز الاتفاقية، وبناء على مبدأه في اقتصاد الفكر[٢]، فإن المضي بعيدا في الوصول إلى المطلق ومعاينته لا يستتبع بالضرورة جهدا طائلا، ويمكن أن يبقى ضمن حدود العقل البشري، فالعقل عادة ما يتمكن من إدارك اللون وتمييزه، وعلى ذلك تصبح مجموعة الألوان المعروفة لدى

---

[1] Mach, Ernst, The Analyses of Sensation, 1914, The Open Court Publishing Company, Chicago, page 7.

[٢] مبدأ يقول بإمكانية تحقيق الحد الاقصى من المعرفة بالحد الادنى من وسائل الادراك، وينطوي المبدأ، من وجهة نظري، على حصر المعرفة الممكنة فيما يمكن أن يدرك بالحواس، واستبعاد مجالات المعرفة التي لا يمكن إدراكها حسيا، ويفسر ذلك موقف ماخ المناهض للميتافيزيقيا بشكل عام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقل هي المرجعيات التي تجعله يفهم ويدرك جانب اللون في أي شيء من حوله، علما أن ماخ العالم الفيزيائي يعي تماما بأن ما يصفه بالإحساسات الأولية يتركب من كيانات أصغر لا يمكن أن يدركها الحس الإنساني المجرد. لقد كانت النظرية النسبية لآينشتين، بالإضافة إلى اكتشافه تشكل الضوء من كيانات صغيرة (الفوتونات)، يهدد بعمق مقولات ماخ الفلسفية، ومبدأ اقتصاد الفكر، الذي دشنه، وانتقده بشدة فيلاديمير لينين في "المادية والمذهب النقدي التجريبي"، والسؤال الذي وجهه لينين في الكتاب المذكور، يضرب المبدأ الماخي من أساسه..

"هل "التفكير" في أن الذرة غير قابلة للانشطار "أكثر اقتصادا" من "التفكير" في أنها تتألف من الكترونات موجبة وسالبة؟"[١].

إن العالم الذي يشيده ماخ هو عالم نسبي، ولكن ليس من ناحية موضوعاته، وإنما في الذهن الذي يستقبل الفكر، فكأن الزمان والمكان وهما أحد عناصر العالم الموضوعي، وشروط جذرية للوجود[٢]، ليس لدى ماخ سوى امتداد لفكرة كانط، مجرد شكلين من أشكال التأمل البشري، إن الأشياء تقتصر، بحسب ماخ، على ظواهر فقط، هذه الظواهر خاضعة للخبرة الإنسانية لطبيعة تعامل الإنسان مع الإحساس.

"الشيء، الجسم، المادة، ليست بشيء سوى ائتلاف العناصر، الألوان والأصوات وما إلى ذلك، ليست شيئا سوى ما يدعى خصائصها"[٣].

وكما ينقده لينين، فإن ماخ، لا يرى في الشيء سوى رمز فكري، وأن الإحساسات هي عناصر العالم الحقيقية، كما ويرى ماخ أن وظيفة العلم تبدأ من الاحساسات، من السيكولوجيا.

"كتب ماخ في عام ١٨٧٢ يقول ((يمكن أن تنحصر مهمة العلم فيما يلي: ١- بحث قوانين الصلة بين التصورات (البسيكولوجيا). ٢- اكتشاف قوانين الصلة بين الاحساسات (الفيزياء) ٣ – تفسير قوانين الصلة بين الاحساسات والتصورات (البسيكولوجيا)))"[٤].

مرة أخرى، ولدى آينشتين، تجد النقدية التجريبية نفسها في مأزق حرج، فالنظرية النسبية الخاصة التي قدمها آينشتين لم تكن ناتجة عن الاحساسات، صحيح أن آينشتين لا ينكر أن بعضا

---

[١] نقلا عن: لينين، فيلاديمير، المادية والمذهب النقدي التجريبي، ١٩٨١، دار التقدم: موسكو، ص ١٩٤.
[٢] المرجع السابق، ص ٢٠١.
[3] Mach, Ernst, The Analyses of Sensation, 1914, The Open Court Publishing Company, Chicago page 7.
[٤] نقلا عن: لينين، فيلاديمير، المادية والمذهب النقدي التجريبي، ١٩٨١، دار التقدم: موسكو، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الملاحظات التي شاهدها في حياته ألهمته أفكارا متنوعة في بناء النسبية، ولكن نقطة الإنطلاق بالنسبة له كانت الجهد النظري واختبار الفرضيات بمعزل عن التجربة والاحساسات، ثم أن عالم الذرة الذي أخذ يقتحمه رذرفورد ونيلز بور والتطورات في مجال ميكانيكا الكم بينت كم هو محدود دور الإحساسات في الوصول إلى النتائج، وأن العناصر التي يتحدث عنها ماخ تعد هامشية في عملية الكشف العلمي، أما مبدأ اقتصاد الفكر، فلم يكن ليقدم شيئا لاينشتين أو غيره، وعلى ذلك فإن آينشتين الذي بدأ ماخيا إنقلب عليه لاحقا.

"لقد فشل محتوى آراء ماخ الفلسفية في أن يكون الأساس الذي يعتمد عليه اينشتاين في نظرته للعالم. ولم يشكل أيضا جزءا من بنية آرائه الفيزيائية. لقد أثرت مثالية ماخ على (أسلوب التعبير) في أعمال أينشتاين الابداعية حول العديد من قضايا الابستمولوجيا، ولهذا السبب كتب اينشتاين في مذكراته حول ابستمولوجية ماخ بأنها تبدو بالنسبة له (غير مبررة جوهريا)"[١].

ويواصل اينشتين نقده لماخ قائلا بانفصال العالم الخارجي عن الاحساسات، واستقلالية الواقع الموضوعي عن الإنسان، فيؤكد ردا على الشاعر الهندي طاغور "حتى ضمن حياتنا اليومية نشعر بضرورة أن نعزو الواقع المستقل عن الإنسان إلى المواضيع التي نستخدمها.. وعلى سبيل المثال إذا لم يكن ثمة شخص في هذا البيت فإن المنضدة ستبقى كما هي في موضعها"؟[٢].

وعلى الرغم مما سبق، فإن اينشتين نفسه استفاد من الماخية، كما كانت الوضعية والبرجماتية سببا في تحرير اينشتين من مجموعة من المقولات الواقعية، إلا أنه في مرحلة لاحقة يؤكد أهمية النظرية بوصفها أداة للمعرفة، بعيدا حتى عن الإحساسات[٣]، ويتوقف عن تعاليه على الفكر الخالص كوهم مبتذل من الواقعية الساذجة، ولا يعود يرى الأشياء كما تظهرها الحواس، بحسب اعترافه ضمن ملاحظاته حول نظرية المعرفة لبرتراند راسل سنة ١٩٤٤[٤]، ولعل اينشتين أخذ في السنوات الأخيرة يخوض معركة كبيرة ضد ميكانيكا الكم، واتخذ بعدا شبه ميتافيزيقي في جدالاته الطويلة مع نيلز بور، حين صرح أن الله لا يلعب النرد، أثناء نقده لمقولة عدم التنبؤ التي حملتها ميكانيكا الكم، ولعل أكبر انجازين فيزيائيين في القرن العشرين، النسبية وميكانيكا الكم، على الرغم مما بينهما من تناقض، مثلا النهاية لامتداد الفكر الماخي على الأقل من الناحية

---

[١] نقلا عن: د. ب. جريبانوف وآخرون، اينشتاين والقضايا الفلسفية لفيزياء القرن العشرين ترجمة ثائر الصفار، ١٩٩٠، الأهالي للطباعة والنشر: دمشق، ص ١١، ١٢.

[٢] المرجع السابق، ص ١٢.

[3] Andrew Bailey, First Philosophy.. Fundamental Problems and Readings in Philosophy 2002, Broadview Press, Canada, p 933.

[٤] نقلا عن: د. ب. جريبانوف وآخرون، اينشتاين والقضايا الفلسفية لفيزياء القرن العشرين، ١٩٩٠، الأهالي للطباعة والنشر: دمشق، ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الابستمولوجية، فهما في النهاية عالجا قضايا فوق حسية، وفوق سيكولوجية، وكانتا تعيدان إلى الواجهة بصورة أو بأخرى، الرغبة الكبيرة للعلم في التصدي للإجابة عن الأسئلة الكبرى، وتعيد ترويض الميتافيزيقيا ولا تلغيها، وتشكل من جديد علاقة الإنسان بالعلم.

تجاوزت فيزياء القرن العشرين ماخ، وجعلته ينتمي إلى التراث مع أنه كان يتابع أبحاث اينشتين، ومقابل رفض ماخ للنظرية النسبية ومجمل الاكتشافات الفيزيائية الجديدة التي خرجت من رحم التجريبية ووجدت مجالا للانطلاق من الفيزياء النظرية، وواجه ماخ نقدا قاسيا من اينشتين تحديدا، واصفا أعماله بالفهرست، ونافيا عنها صفة النظام، وناعتا ماخ نفسه بالميكانيكي الجيد والفيلسوف السيء، ومع أن اينشتين يصرح بذلك في مرحلة متأخرة من مسيرته العلمية والفكرية، إلا أن فريدريك هينريك يقيم موقف اينشتين من ماخ، ولا يرى فيه جديدا، وإنما امتداد لما قدمه لينين سابقا.

"إن هذا التقييم الماحق لماخ، الفيلسوف، من قبل اينشتاين.. يتطابق تماما وربما حرفيا مع ملاحظات لينين في مؤلفه المادية ومذهب النقد التجريبي حول ماخ والماخية"[١].

ويبدو أن تأخر اينشتين في إعلان هذه المواقف يعود لعدم اطلاعه على كتاب لينين، وعدم درايته بالفلسفة الماركسية، وإن كان طبق الديالكتيك في كثير من مقارباته الفلسفية.

أمام هذا التقدم الذي يتحقق في علم الفيزياء يفشل أحد هدفين انطلق منهما ماخ في مذهبه النقدي التجريبي، وفي خطوته المتقدمة على طريق الوضعية، فمحاولته الانتقال إلى الأمام من تجميع العلوم إلى توحيد مناهجها باءت بالفشل، فلا التجربة أو الخبرة تمكنت من فرض نفسها أمام العمل النظري، ولا مركبات الإحساس استطاعت أن تصمد أمام البناء الذري الذي أعاده نيلز بور للواجهة، وما زالت اكتشافات الفيزياء توجه المزيد من الضربات للأساس الفلسفي الذي شيده ماخ.

ففي البداية حاول ماخ أن يحقق هدفين:

١- تأسيس الأرضية الصلبة للعلم على الخبرة، وتطهير العلم من الميتافيزيقيا، للوصول إلى نظرية علمية تتمتع بالقدرة على التنبؤ.

---

[١] نقلا عن: المرجع السابق، ص ٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- الانطلاق من وصف الوقائع والتقنية المستخدمة من أجل ضمان التكرار ليكون البداية الحقيقية التي يتعين أن تكون قابلة للصياغة بحيث تشمل عددا قليلا من الوقائع فحسب[١].

وليس ثمة ضرورة على تأكيد أن المدخل النظري، المفارق للخبرة والتجربة من ناحية، وميكانيكا الكم التي موضعت عدم التنبؤ في العلم الحديث، من ناحية أخرى، قد أديا أثرا مزدوجا في تفكيك مقولات ماخ، وبناء على ذلك، كانت أفكاره قابلة لإعادة الاستنباط من جديد في المدرسة التي عرفت لاحقا بالوضعية المنطقية، أو حلقة فيينا، وستبين هذه الدراسة، لاحقا، أهمية ماخ الحقيقية في تشكيل أفكار الوضعية المنطقية، بصفته رائدا على طريق الوضعية، وهو ما دفع دعاة هذه المدرسة لوضعه في مكانة متقدمة بين مصادرهم الفلسفية.

[١] نقلا عن: الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة وآخرون، ١٩٨٨، معهد الانماء العربي، بيروت، ماهر عبد القادر محمد، مادة الوضعية المنطقية، ص ١٥٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الوضعية المنطقية واخفاق مشروع الفلسفة العلمية

تطور المنطق الاستقرائي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بضعة أسئلة أولية يجب التطرق لها قبل الخوض في مسألة التطور التاريخي لعلم المنطق، وأول هذه الأسئلة عن المنطق نفسه، وهل يصح أساسا أن يعتبر علما، بمعنى هل يستوفي الشروط اللازمة ليكون علما، فعلى الرغم من أن المنطق لا يمكن أن يعتبر علما بالمعنى الشائع لتعبير علم، حيث تحول صورية المنطق دون أن تضعه بجانب العلوم الطبيعية أو التطبيقية، إلا أن ما يقدمه لالاند من تعريف للعلم من حيث المبدأ يصب تماما في ترجيح وصف المنطق بالعلم، فالعلم هو ما يوجه السلوك بشكل مناسب، كما هو حال معرفة نيرة وصحيحة، كما هو أيضا، مهارة تقنية، وأيضا مجموعة معارف وأبحاث على درجة كافية من الوحدة والعمومية[١]، وإن كان المنطق يتصف بالخطوط العريضة التي تؤطر العلم، فإنه كذلك يعد ضمن أحد العلوم المعيارية التي جرى التوافق عليها، بجانب الأخلاق والجمال، ولكن يبدو أن وصف المنطق بالعلم لا يرجع إلى فترة زمنية بعيدة، فما زال أحد المواضيع التي يتطرق لها جون ستيورات ميل John Stuart Mill (١٨٠٦- ١٨٧٣) في كتابه "نظام المنطق". فهو يشرح في مقدمته الدور الذي يحيله إلى الأسقف ريتشارد ويتلي Richard Whately (١٧٨٧ – ١٨٦٣) الذي أخذ يعرف المنطق بأنه علم التفكير، أو علم الاستنتاج، على أن العلم الذي يراه ويتلي بحسب ميل هو "تحليل العمليات الفكرية التي تجري عندما يقوم الفرد بالاستنتاج، والقواعد التي تستند عليها هذه العمليات لتصل إلى الاستنتاجات بطريقة سليمة"[٢]، وهو بذلك يتجاوز المفهوم التقليدي لاعتبار المنطق بمنزلة الفن، إلا أن ما قدمه ويتلي وميل لا يتعدى ما قدمه كانط في "نقد العقل المحض"، ونقف بتشكك أمام أي اعتبار للمنطق علما على هذا الأساس، حيث أن جميع العمليات التي تصورها كانط Immanuel Kant (١٧٢٤ – ١٨٠٤) ليست موضوعا تجريبيا، وأن ما حققه علم النفس نفسه في مجال فهم الكيفيات التي تمضي بها العمليات الفكرية ما يزال محدودا، الأمر الذي لا يرتقي بالتأكيد لما قدمه ويتلي من تصور، فتحليل العمليات يمتنع في حالة عدم الإدراك الكامل، والدقيق، للعمليات نفسها، ولعل بول موي Paul Mouy (١٨٨٨- ١٩٤٦) ينطلق من بداية موفقة عندما يجعل علم النفس مدخله لتفهم المنطق، ويعرف المنطق

---

[١] لالاند، أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية ترجمة: خليل أحمد خليل ٢٠٠١، منشورات عويدات – باريس، مادة Logique، ص ٧٤٢ – ٧٤٤.

[2] Mill, John Stuart: A System of Logic 1882, Harper & Brothers Publishers – New York, P 9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأنه العلم المعياري للصواب[١]، ويستكمل التعريف بتوضيحه للعلم المعياري بصفته العلم الذي يبرهن على أحكام تقويمية وينقدها، ويركز موي على وظيفة الفهم بحد ذاتها، منطلقا من مقولة الفيلسوف الإغريقي أنكساجوراس Anaxagoras (٥٠٠ ق م – ٤٢٨ ق م) "في البدء كان كل شيء مختلطا، ثم أتى العقل nous فميز كل الأشياء ليعيد تنظيمها".

إن إلقاء الضوء على عملية الفهم ليس في إطار ما يخدم مناقشة تطور علم المنطق، فذلك يعتبر عملية معقدة، كما أنها مرتبطة بحقل علم النفس أكثر من ارتباطها بالمنطق والفلسفة، إلا أن المنطق نفسه هو إحدى أدوات الفهم، ولعله يقوم بدور مهم وتنظيمي لتوفير الاستنتاجات المنضبطة الضرورية للفهم، وعلى ذلك فإن ما قام به أرسطو Aristotle (384 ق م - ٣٢٢ ق م) يعد بالفعل البداية المعتبرة للمنطق، حيث تعد المؤلفات المنطقية (المقولات والعبارة والقياس والبرهان) مؤسسة لعلم المنطق الذي تسيد الفكر الإنساني لقرون طويلة، وتضافر على استمراره، توافقه مع الديانتين المهيمنتين على وسط العالم، المسيحية والإسلام، وإن تكن المسيحية كرست الفلسفة الأرسطية، حتى أصبح أرسطو السلطة العلمية الوحيدة المعتمدة من الكنيسة[٢]، وهو ما يؤكده زكي نجيب محمود (١٩٠٥ – ١٩٩٣) في كتابه "المنطق الوضعي":

"وجاءت العصور الوسطى وجاءت معها ديانتان كبيرتان: المسيحية والإسلام، وأراد أتباع هاتين العقيدتين أن يديروا فيهما الفكر شرحا وتحليلا، فكان لا بد لهم أن يجعلوا من الكتب المنزلة نقطة ينزلون منها إلى النتائج التي تتولد عنها؛ وإذن فهم بحاجة شديدة إلى الأداة المنطقية نفسها التي كان أرسطو قد أخرجها من العلوم الاستنباطية القائمة في محيطه؛ كانوا بحاجة إلى تلك الأداة المنطقية نفسها، لأن طريقة التفكير التي تستنبط النتائج من مقدمات مسلم بها هي بعينها الطريقة التي تلزمهم فيما أرادوا أن يضطلعوا به إزاء نصوص الكتب التي أرادوا لها التحليل والشرح"[٣].

---

[١] موي، بول: المنطق وفلسفة العلوم ترجمة: فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، ص ٥ – ٦.
[٢] مهران، محمد: المنطق، سلسلة كتابك ١٩٧٨، دار المعرفة: الإسكندرية، ص ٤٥.
[٣] محمود، زكي نجيب: المنطق الوضعي ١٩٦١، الأنجلو مصرية – القاهرة ، ص ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان موقف الديانة المسيحية، وبالتالي الفلسفة المسيحية في العصور الوسيطة، قائما على مجموعة من الاعتبارات التاريخية والسياسية المرتبطة بالسيطرة المؤسسية للكنيسة على الحياة الأوروبية، فإن التوقف أمام تطور المنطق في ثنايا الفلسفة الإسلامية يستحق الالتفات، ويتوزع الفلاسفة المسلمون وبجانبهم العلماء في مجالات علم الكلام والعلوم الشرعية في ثلاثة فرق حيال المنطق الأرسطي، فالفريق الأول عمل على شرح المنطق الأرسطي وتعميمه بصفته الذروة التي بلغتها الفلسفة اليونانية، وتعتبر أعمال ابن رشد التي قدمت أرسطو من جديد المثال الواضح على التأثر بالمنطق الأرسطي، وثمة أسباب أخرى تتعلق بتعزيز مكانة هذا المنطق (القياسي الاستنباطي) تتمثل أنه بحد ذاته يتيح الانطلاق من مقدمات عامة متفق عليها، وبغض النظر عن التأكد من صحتها أو عدمه إلى نتائج متوائمة مع هذه المقدمات، وبالتالي يمكن تطوير بنية تشريعية متكاملة على أساس البنية العقائدية الأساسية، تضمن عدم وجود التناقض بين النتائج المطبقة على أرض الواقع، وبين المدخلات التي تمثل نصوصا إلهية لا تقبل التشكيك في مصداقيتها أو صحتها. أما الفريق الثاني، فقد نظر إلى المنطق بكثير من التشكك، وعمل على نقضه واتخذ موقفا سلبيا ازاء علم الكلام و المحاججة في مسألة أصول العقيدة، ولم يكن مستغربا على ذلك الأساس أن يتصدى ابن تيمية (١٢٦٣ – ١٣٢٨) للمنطق، فهو ينظر إلى ضرورة انقياد الفرد المسلم للإملاءات الشرعية التي تواجهه دون أن يمتلك الأداة النقدية اللازمة، ولدى ابن تيمية في "نقض المنطق" تتجلى الأحادية، فبعد أن مضى في نقد أقوال المتكلمين، على أساس تناقضها، يطلق حكمه بفساد المنطق، ويحرم حتى المعرفة به على أساس فرض الكفاية، فهو لا يرى ضرورة للمنطق من الأساس، بسبب عجز الطريقة القياسية عن التوصل إلى الحقائق في العلوم الدنيوية، أو الأخبار التاريخية، إلا أن بقية المسوغات التي يدفع بها ابن تيمية تدلل على انغلاق الفريق الثاني الذي أشرنا إليه تجاه المنطق بالكلية، فهو يحرم المنطق على أسس منها:

١. أمر الدين أعلى وأجل من أن يوزن بموازين المنطق.
٢. لم يلتفت أحد من علماء الإسلام في الدين أو الفقه أو اللغة أو غيرها إلى هذا المنطق.
٣. لم يفد من المنطق إلا الذين ليس لهم كتاب منزل ولا نبي مرسل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. جميع ما يأمر به المنطق من العلوم والأخلاق لا تكفي في النجاة من عذاب الله، ولا تحصيل نعيم الآخرة.
٥. المنطق لا يأمر بالتوحيد وعبادة الله، بل يأمر بالشرك وعبادة الكواكب.

ويبدو من هذه الأسباب التي تحول، بحسب ابن تيمية، عن التعاطي بالمنطق، أنه يحاكم المنطق في ظل التراث الفلسفي ككل، وبحسب الشائع من الأقوال والأفكار[١].

ويمكن تلخيص حالة الفريق الثاني، المناهض للمنطق، بأن من تبنوه عملوا على نقد المنطق وتفنيده دون أن يتقدموا ببديل أو يعملوا على تجاوزه بأدواتية جديدة، فالتقليديون من علماء المسلمين لم يروا حاجة لوضع الأفكار المؤسسة للمنظومة العقدية في الإسلام أو البنية التشريعية القائمة عليها محلا للاختبار، وكان علم الكلام على ما قدمه للفكر الإسلامي لا يشكل أكثر من أرضية لبناء بعض المحاججات لمواجهة المنكرين والمشككين، ويبدأ عادة من مسلمات يقرها المسلمون، كما ويحفل بالمغالطات المنطقية، وإن تكن هذه الرسالة ليست موضعا لمناقشة مثل هذه الانتقادات التي يمكن توجيهها لعلم الكلام، أما الفريق الثالث فهو ما يمكن عرضه من خلال ما قدمه ياسين خليل في كتابه "مقدمة في علم المنطق" وهو التيار الذي استفاد من حركة التقدم العلمي التي شهدتها الحضارة الإسلامية، ويتوزع هذا التيار بين مجموعة من الاتجاهات، عرضنا أحدها في الفريق الأول الذي نراه منفصلا، فابن رشد (١١٢٦ – ١١٩٨) وغيره من المشتغلين بأرسطو والمنطق أضافوا بعضا من التعليقات والأفكار، إلا أن التقدم الحقيقي كان يجري على محاور أخرى نعرضها بحسب ما ذهب إليه خليل في كتابه المذكور:

أولا: الاتجاه الرياضي، وخاصة مع الخوارزمي (٧٨٠ – ٨٥٠) وتطويره لعناصر منطقية مهمة مثل حساب الجبر والمقابلة، واستخدام طريقة الرد في حل المعادلات، وابتكار الخوارزميات.

[١] كأن الوحدانية في الاعتقاد تستلزم أحادية في الرؤية، فالذي يؤمن بالله – عزوجل – ضمن هذه الذهنية يرى أن أي اختلاف مع وجهة نظره التي يعزوها، بناء على فهمه الخاص، هو اختلاف في الله وحول الله، وبذلك لا يستغرب أن يتخذ ابن تيمية من الخلافات بين المتكلمين أساسا لتفنيد مقولاتهم وأفكارهم، دون أن يتعرض بعمق في كثير من المواضع لأقوالهم، فهو يبحث في شرعية هذه الأقوال وليس صحتها، أو انضباطها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: الاتجاه المقترن بالعلوم الطبيعية، وتطوير العلماء المسلمين، خاصة في مجالات البصريات وعلوم الأثقال والموازين، طريقة استقرائية قائمة على التجربة والاختبار للوصول إلى صياغة الأقوال (القوانين) العامة، وكذلك، امتحان الفروض الصادق منها والكاذب.

ثالثا: الاتجاه المقترن بالمسائل الهندسية، خاصة ما قدمه ابراهيم بن سنان الحراني (٩٠٨ – ٩٤٦) للتعامل مع الحل والبرهان من خلال المعطيات المطروحة.

إلا أن الملاحظة الجديرة بالذكر أن العلاقة بين المنطق الذي تطور من خلال العلماء المسلمين لم يكن موازيا للمنطق الذي أخذ يتطور في أوروبا لاحقا، فالمنطق الأوروبي أخذ يتطور بعد أن قدم رامون لول Ramon Llull (١٢٣٢ – ١٣١٥) "معالم الفن الكبير"، والأرجح أن لول الذي درس اللغة العربية في الأندلس تأثر بابن رشد وما وصله من أعمال الفلاسفة المسلمين في المنطق، إلا أن الانتقال لم يكن تراكميا، وإنما أخذ يوظف المنطق في خدمة الكنيسة حتى بدأت اتجاهات المنطق تتباين وتتنوع، وبحسب ياسين خليل فإن التطور في المنطق كان على ثلاثة اتجاهات رئيسة، إلا أن الرؤية التي نقدمها، لتتبع تطور المنطق، تختصر الاتجاهات التي قدمها خليل إلى اتجاهين":

الأول: التطور عبر ليبنتز (Leibniz) (١٦٤٦ – ١٧١٦) كبداية للمنطق الرياضي الحديث والجبر المنطقي مع الإشارة لمحطات المنطق البولي - نسبة إلى جورج بول (George Boole) (١٨١٥- ١٨٦٤) ، وأرنست شرودر (E. Schroder) (١٨٤١ – ١٩٠٢)، ويتواصل مع فريجه (Frege) (١٨٤٨ – ١٩٢٥) وبرتراند راسل(Russell) (1872 – 1970) ، ووايتهيد (Whitehead) (١٨٦١ – ١٩٤٧)، والأخيران يقومان بخطوة انتقالية مهمة في النظر إلى المنطق، حيث أصبحت الرياضيات، بحسب راسل ووايتهيد، منطقا متطورا، وأصبحت النظرة إلى الرياضيات، بوصفها بناء منطقيا، ممكنة، وبموازاة ذلك يمكن وضع القواعد المنهجية في حل المسائل الرياضية التي قدمها ديكارت (Descartes) (١٥٩٦ – ١٦٥٠) ضمن التطور في المنطق الرياضي دون أن يكون ذلك اتجاها منفصلا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني: الاتجاه المقترن بالعلوم التجريبية وتطور العلوم الطبيعية وهو ما يمكن تتبعه ابتداء من فرنسيس بيكون (Francis Bacon) (١٥٦١ – ١٦٢٦) مع الأرغانون الجديد الذي أخذ يطرح بجدية المنطق الاستقرائي ليكسر سطوة المنطق الاستنباطي على الفكر الأوروبي، والإنساني بشكل عام، وضمن هذا المسار يأتي جون سيتورات ميل (J.S. Mill) مع "نظام المنطق" وهو المسار الذي يمكن أن تعتبر الوضعية المنطقية جزءا من تطوره.

بقي المنطق التقليدي مهيمنا على العقل الإنساني والفلسفة طوال قرون، وصولا إلى القرن السابع عشر الذي شهد إسهاما مهما أنجزه الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون، وتمثل ذلك في بناء المنهج الاستقرائي ليكون أول خطوة تجاه التحول للمنطق الحديث، بعد أن بني المنطق الأرسطي على نظريته الشهيرة في القياس والاستنباط، وتعيد لحظة بيكون في تاريخ المنطق الاعتبار للمقولة التي أصدرها هيجل Hegel (١٧٧٠ – ١٨٣١) بعد ذلك بقرون "إن كلاً منا هو ابن عصره، وربيب زمانه". وعلى ذلك فمن الضروري الوقوف عند لمحة عامة لعصر بيكون يوجزها الدكتور فؤاد زكريا (١٩٢٧ – ٢٠١٠) في مقدمته لكتاب تعريفي عن عمل بيكون الأورجانون الجديد، فيتحدث عن إنجلترا، قائلا: "كانت البلاد قد نزعت عن نفسها سيطرة رجال الدين واصطبغت بالصبغة الزمنية، ولم تكتف باحلال أناس عاديين محل رجال الدين في المناصب الرئيسية للدولة، بل إنها استولت على الأراضي الشاسعة التي كانت الهيئات الدينية تدعم بها سلطتها، ووزعتها – بعد حل الأديرة – على الملاك العاديين. وهكذا بدأ يظهر في انجلترا نظام جديد، تتضاءل فيه سلطة الكنيسة، ويصطبغ بصبغة زمنية متزايدة القوة"[١].

عطفا على ما ذكر سابقا من رأي لزكي نجيب محمود حول دور الدينين المسيحي والإسلامي في رعاية المنطق الأرسطي والحيلولة دون تحقيق تقدم يذكر في المنطق، فإن خطوة هائلة يعبرها المنطق مع رفع الغطاء الكنسي عن المنطق الأرسطي في ظل العلمنة التي شهدتها انجلترا في القرن السادس عشر، وخروجها عن سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، إلا أن ما قدمه فرانسيس بيكون لم يكن يثير اهتمام

[١] زكريا، فؤاد: الأورجانون الجديد ١٩٩٤، مكتبة الأسرة: القاهرة، ص ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معاصريه للدرجة التي جعلت كانط يتجاهل الخطوة التي أنجزها في الأورجانون الجديد كلية. يقول كانط: "ولقد سلك المنطق هذه الدروب الآمنة منذ قديم الزمان كما يظهر من أنه لم يكن عليه أن يتراجع أي خطوة منذ أرسطوطاليس. هذا إذا لم نشأ أن نعد بمثابة تحسين حذفة بعض الجزئيات النافلة، وتعيينه لمضمونه تعيينا أوضح، الأمر الذي إنما يعود إلى التنميق أكثر مما يعود إلى وثوق العلم. وما تجدر ملاحظته أيضا هو أنه لم يستطع التقدم أي خطوة حتى الآن، ولذا يبدو لكل ناظر محكما وكاملا"[١].

وعلى الرغم من أن كتاب جون ستيورات ميل "نظام المنطق" يعد خطوة مهمة في تطور المنطق، إلا أنه ينتمي إلى مرحلة ما بعد كانط، ويبدو أن خط التطور الخاص بالمنطق الاستقرائي يمكن أن يرتبط بتطور علم الفيزياء، فبعد نيوتن (١٦٤٢ – ١٧٢٧) حدث تباطؤ في تطور الفيزياء في انجلترا، ولم تكن الأعمال المهمة للفيزيائيين تبتعد عن محاولة نقد نيوتن دون أن تتقدم خطوة مهمة إلى الأمام، وبذلك كان طبيعيا أن يتطور المنطق الاستقرائي بنفس الوتيرة المتباطئة، بينما لم يكن المنطق الرياضي مضطرا للاقتران بالعلوم التطبيقية بشكل عام، وعلى ذلك أتى تطوره مطردا وبخطى ثابتة.

يبدأ بيكون من ضرب فكرة اليقين، ويجعل الابتداء من اليقينيات عملا لا طائل من ورائه، فاليقين عنده ليس بداية، ولكنه النهاية التي يتم بها وعندها كل بحث[٢]، وعلى الرغم من أن مؤرخ المنطق روبير بلانشي (Robert Blanché) (١٨٩٨ – ١٩٧٥) يقلل من أهمية بيكون في تطوير علم المنطق، ويرى أن ما أنجزه يتمثل في انتقاد المنطق الأرسطي والتحيز السكولائي له، كما ويرى أن كل ما فعله بيكون هو مجرد التبني للقياس بصورة مقلوبة[٣]، وإن تكن مناقشة الأرجانون الجديد لبيكون ليست ذات محل من الأهمية في الدراسة، إلا أن العمل على تفهم وضعه للجانب التجريبي بمحاذاة الإطار المنطقي مسألة تستدعي الاهتمام، وتجعله صاحب تأثير كبير على تشكل الوضعية المنطقية بعد ذلك بقرون، فبيكون يقلل من تعويل الإنسان والفيلسوف على أدواته التقليدية في معرفة الحقيقة، ففي الأرجانون الجديد يقول: "إن

---

[١] عمانوئيل، كانط: نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة (-١٩٨)، مركز الانماء القومي – بيروت، ص ٣١.
[٢] الشاروني، حبيب: فلسفة فرانسيس بيكون ١٩٨١، دار الثقافة: الدار البيضاء، ص ٣٢.
[٣] بلانشي، روبير، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل ت: د.خليل أحمد خليل ط٢ سنة ٢٠٠٢، ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، ص ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان من حيث هو خادم للطبيعة ومفسرها لا يستطيع أن يعمل أو يدرك إلا بقدر ما تسمح به ملاحظاته عن نظام الطبيعة، سواء أكانت بملاحظة الأشياء أم بالتأمل. وهو لا يعرف ولا يستطيع أكثر من ذلك"[١].

وعليه، فإن الخطوة الأولى في المنهج الاستقرائي لا تسلم أساسا بمنطلقات المنطق الأرسطي، أو القياس، فالمثال الشهير عن القياس: سقراط – إنسان وكل إنسان فان إذن سقراط فان، تعتريها مجموعة من الإشكاليات الجوهرية، فيمكن أن تكون العملية القياسية على هذه الصورة سقراط – طائر، وكل طائر – يطير إذن سقراط يطير، ومع أن ذلك يمكن أن يتم محاصرته من خلال التأكد من التعريفات لكل جملة، بحيث يتم اثبات أن سقراط فعليا هو إنسان، بوضع التعريف المانع والجامع للإنسان، ومن ثم العودة إلى سقراط والتأكد أن تعريف الإنسان ينطبق عليه، وصولا إلى بقية مراحل القياس، إلا أن ذلك يبقى محدودا في ظل عدم التمكن من وضع التعريف الجامع والمانع، كما أن تطبيق القياس على بعض العبارات يصبح دون معنى، مجرد رياضة ذهنية إما أنها تقوم على حالات محدودة، أو أنها غير قابلة لأن تحصر في الإجراءات التعريفية، فبالقول بأن ابراهيم – مسلم والمسلم على خلق حسن إذن فابراهيم على خلق حسن، نجد أن عملية القياس تنطوي على كثير من المزالق مع أنها صحيحة من الناحية الشكلية، ولكن كيف يمكن التأكد من أن ابراهيم مسلم، وكيف يمكن التأكد من أن المسلم على خلق حسن، صحيح أن الإسلام يضع عناصر تحدد الخلق الحسن، ولكن مجرد اعتناق الإسلام لا يمكن أن يكون كفيلا بأن يكون المسلم حسن الخلق، وسوء الخلق صفة لا تنفي عن المسلم إسلامه، بالإضافة إلى ذلك فثم ضرورة لتعريف الخلق الحسن، فهي مسألة متشابكة ومعقدة وليست متاحة كالقول بأن الإنسان فان، فالفناء يعني الموت، ولم يحدث أن حصل إنسان على الخلود من قبل.

إن حتمية الموت استقرائية بالضرورة، وبالنظر إلى أرسطو يجب الالتفات إلى نقطتين رئيستين، الأولى: أن أرسطو لم يقدم المنطق ليكون مجرد رياضة ذهنية، كما ذكر سابقا، وإنما أداة للوصول إلى الحقيقة، والحقيقة غير منفصلة عن العالم، الطبيعة، وإن يكن الشكل صوريا لدى أرسطو فالغاية ليست صورية، وإنما مادية في الأساس، والثانية: أن أرسطو نفسه هو من استخدم مصطلح الاستقراء، وكان يعني به

[١] الشاروني، حبيب: فلسفة فرانسيس بيكون ١٩٨١، دار الثقافة: الدار البيضاء، ص ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانتقال من الجزئي إلى الكلي، كما يرى البعض، بينما يرى آخرون، أن غايته كانت ايراد الأمثلة التي تقوم دليلا على صدق نتيجة عامة[١]، ويرى محمود زيدان أن أرسطو يعرف الاستقراء بأنه: "إقامة قضية عامة ليس عن طريق الاستنباط وإنما بالالتجاء إلى الأمثلة الجزئية التي يكمن فيها صدق تلك القضية العامة، أو هو البرهنة على أن قضية ما صادقة صدقا كليا باثبات أنها صادقة في كل حالة جزئية صدقا تجريبيا"[٢].

ويشير روبير بلانشي إلى رؤية أرسطو للاستقراء، بل ويسوغ أيضا عدم مضي أرسطو قدما في تناوله.

"ولا جرم أن أرسطو قد أبصر الخطوط الجوهرية لكل إجراء استقرائي. أولها حركته التراجعية التي يقلب نظام معرفتنا نظام الوجود: إنه يصعد، إنطلاقا من معطيات التجربة، إلى المبادئ التي يمكن أن تتعلق عليها بعد ذلك السلسلة الاستنتاجية، ثم طابعه الظني كنتيجة لهذا القلب. لقد حدد بدقة، ما هي الشروط المطلوبة لكي يكون مثل هذا الاستنباط صحيحا من الناحية المنطقية، لكنه كان يعلم أن هذه الشروط قليلا ما تتوفر"[٣].

ونتيجة لعدم توافر الظروف الموضوعية في استقراء أرسطو فإن الربط بينه وبين ما آل له الاستقراء لاحقا أمر متعذر "فهو أولا لا يعطي الاستقراء إلا مكانة صغيرة، لا بالنسبة إلى العرض الذي يقدمه عنه فقط في (تحليلاته)، بل كذلك بالنسبة إلى الدور الذي يسنده إليه في بناء العلم"[٤].

إن ما نحاول قوله في هذا العرض لرؤية أرسطو للاستقراء، هو أن الاستقراء ربما يكون مسألة طبيعية بالنسبة للذهن الإنساني الذي يمكنه أن يسعى للحقيقة نزولا

---

[١] زيدان، محمود فهمي: الاستقراء والمنهج العلمي ١٩٧٧، دار الجامعات المصرية: القاهرة، ص ٢٧.
[٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٣] بلانشي، روبير: الاستقراء العلمي والقواعد الطبيعية ترجمة: محمود اليعقوبي ٢٠٠٣ دار الكتاب الحديث- القاهرة، ص ٦.
[٤] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المقدمات أو صعودا منها، ولكن ظهور الاستقراء على الساحة الفكرية كان مرتبطا بصورة جوهرية بالتطورات الفعلية في مسار العلوم الطبيعية.

وفي إطار قصور الاستقراء على النمط الأرسطي، نتيجة عدم وجود التطور العلمي الذي يستدعي تطبيق الاستقراء، فإن أرسطو ينحصر منطقه في القياس التقليدي، ويوضح د. إبراهيم مصطفى ابراهيم قصور المنطق القديم أي المنطق الأرسطي أو القياس عن "متابعة الحركة العلمية وذلك لاعتماده فقط على ملاحظة الظواهر ملاحظة بسيطة ساذجة لا تفضي إلى تقدم العلم ولا إلى نشأة علوم جديدة"[١]، ومن ثم فإن تطور المنطق أتى بناء على تطور العلوم، ولكنه تطور في الداخل، بمعنى أن العلم كان يتقدم بناء على اكتشافات يمكن أن تكون غير مخططة، ويمكن أن تبدو حتى مناقضة للتصور المنطقي، ولكن تعميم النتائج واختبارها كان يجب أن يتم وفق بنية منطقية، الأمر الذي تطلب تعديلات على النظام المنطقي[٢]، وعليه فالخطوة الأساسية في الانتقال من الاستنباط إلى الاستقراء جرت في العصور التي تمكن فيها العلم من التصدي بالتفسير لقضايا طبيعية كانت تعتبر ملحقة بالفلسفة، والإشكالية أن الوقت الذي تمكن فيه العلم من التعامل مع أسئلة فلسفية كبرى مثل الزمن، خفتت الفلسفة وتراجعت، حتى أنه جرت عملية التعدي على علوم كانت تصنف ضمن الإطار الفلسفي، ونذكر رأي حنا أرندت بوصفها علم الاجتماع وعلم النفس، "علمين عصريين مفضوحي الزيف"[٣]، ولا نرى فيما قدمه الماركيز كوندرسيه **marquis de Condorcet (١٧٤٣ – ١٧٩٤)** في موضوع الرياضيات الاجتماعية إلا إسهاما لم يكن كافيا من أجل اضفاء الصبغة العلمية على دراسات المجتمع.

لقد أسهم المنطق الاستقرائي في تمكين العلم من بناء أرضية جديدة، اذ لم يعد العلم مجرد منجز فردي، حيث شهدت مرحلة صعود العلوم ظهور الجامعات في مختلف أنحاء أوروبا وبدء رعاية البحث العلمي، ولم يعد العالم منفصلا عن محيطه

---

[١] مصطفى ابراهيم، ابراهيم: منطق الاستقراء .. المنطق الحديث ، ١٩٩٩، منشأة المعارف / الاسكندرية، ص٩.

[٢] بما يعني أن المنطق أخذ يتقدم في علاقة جدلية وديناميكية مع تطور العلوم،وأن التطور المنطقي أخذ في التسارع بموازاة الاكتشافات العلمية والتقنية المتتابعة، وبذلك كانت نتائج التقدم العلمي تنعكس على المنطق وتفتح أمامه مجالات جديدة للخروج من المنطق التقليدي، وفي المرحلة الأخيرة وبعد توظيف المنطق في تقنية المعلومات تم العمل على تطوير مداخل منطقية جديدة مثل منطق الغموض Fuzzy Logic والمنطق المهجن Hybrid Logic.

[٣] ارندت، حنا: في الثورة، ترجمة عطا عبد الوهاب ٢٠٠٨، المنظمة العربية للترجمة: بيروت، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي موضع العداء تجاهه، كما حدث مع جاليليو، وإنما تحول البحث العلمي إلى عمل يمكن وصفه بالحد الأدنى من التراكم بعد نيوتن[١]، ويرصد روبرت أدمسون Robert Adamson (١٨٥٢ – ١٩٠٢) أن الإصلاح الحديث في علم المنطق أتى كمحاولة لتكون النظرية المنطقية أكثر اقترابا من المنهج العلمي[٢]، بينما يرى زكي نجيب محمود أن التمييز بين المنطق ومناهج البحث العلمي هو تمييز مصطنع نشأ جراء ظروف تاريخية معينة، "وقد جرى العرف أن يفرق بين "المنطق" من جهة و"مناهج البحث" من جهة أخرى، حتى لتوشك أن ترى كل كتاب يؤلف في المنطق مقسما إلى قسمين، أولهما في المنطق – وكثيرا ما يوصف بالصورية فيقال "المنطق الصوري"، كأنما هو وحده دون مناهج البحث – الذي يتصف بهذه الصفة، وأما ثانيهما فيخصص لعلم المناهج، وإنه لتقسيم مصطنع نشأ عن ظروف تاريخية"[٣].

وإذا كان الوقوف على ما يقدمه زكي نجيب محمود ضروريا، فإننا نميل إلى تحقيب المنطق، على النحو الآتي.

١. الاستنباط الممتد من أرسطو حتى العصر السكولائي.
٢. الاستقراء عبر بيكون وميل.
٣. علم المناهج في العصور الحديثة.

ولكن ذلك يضعنا أمام إشكالية مهمة تتعلق بتصنيف الأعمال المهمة في المنطق مثل ما أضافه هيلبرت **David Hilbert (١٨٦٢ – ١٩٤٣)** و تارسكي **Alfred Tarski** (١٩٠١ – ١٩٨٣) وبيانو**Giuseppe Peano (١٨٥٨ – ١٩٣٢)** وبول، فإن ذلك يجعلنا نعمد إلى تقسيم مشابه إلى ما يعتمد في الرياضيات، وهو المنطق البحت والذي يشتمل على المنطق الرمزي في تعامله مع القضايا المختلفة وشتى أنواع العلاقات بين القضايا، والمنطق التطبيقي الذي يشكل قوام مناهج البحث العلمي، إلا أن الاتفاق يظل قائما على صورية المنطق حسب ما يذهب له محمود، مع رفض أي محاولة لتوزيع المنطق بين صوري ومادي، فزكي نجيب محمود يلقي الضوء تفصيلا على هذه القضية التي تبناها بعض كتاب المنطق العرب، ويفندها.

---

[١] أخذت البحوث العلمية في الاتجاه إلى الشكل المؤسسي، بعد أن بقي العلم لقرون طويلة يعتمد على البحث الفردي،كما أصبحت علاقة العلوم ببعضها أكثر تشابكا، وتعددت مجالات الدراسة العلمية بصورة غير مسبوقة.

[2] Adamson, Robert: A Short History of Logic, William Blackwood & Sons – Edinburgh 1911, p 4.

[٣] محمود، زكي نجيب: المنطق الوضعي ١٩٦١، الأنجلو مصرية – القاهرة، ص ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وجد الناس بين أيديهم شيئين: وجدوا منطقا استخلصه أرسطو من علم عصره، كما وجدوا منطقا آخر استخلصه بيكن من علم عصره أيضا؛ الأول أساسه الاستنباط، أعني استخراج النتائج من مقدماتها "الجاهزة"، والثاني، أساسه الاستقراء، أي تعميم الحكم على الظواهر الجزئية حيثما جاز هذا التعميم؛ فالمهمة التي أداها المنطق الأول، هي نفسها المهمة التي أداها المنطق الثاني، فإذا جاز تسمية الأول منطقا جاز كذلك تسمية الثاني بالكلمة نفسها، وإذا جاز تسمية الثاني "مناهج بحث" جاز كذلك إطلاق الاسم نفسه على الأول؛ أما أن نصطلح على تسمية التحليل الأرسطي "منطقا" وعلى تسمية التحليل البيكني "مناهج بحث" فقد يوهمنا – كما يتوهم معظم المشتغلين بالأمر فعلا – أن هنالك شيئين مختلفين في القلب والصميم؛ ويزيد هذا الوهم عندما يصفون المنطق الأرسطي "بالصورية" ومنطق بيكن "بالمادية"، على حين أن المنطق كله – مهما اختلفت مذاهبة ومدارسه – هو بالضرورة "صوري" لأنه – كما قلنا – لا يختص بعلم دون علم، بل يستخلص من طرائق العلوم المختلفة جميعا ما عساه أن يكون أساسا مشتركا بينها"[1].

إلا أن مصدر الاتفاق، مع محمود، ليس في الحجة التي بنى عليها تصوره للتلازم بين المنطق ومناهج البحث، فالحجة، في حد ذاتها، قامت على اعتبار أن المنطق ومناهج البحث ليسا إلا شيئا واحدا لأنهما متفقان في الغرض، أو متشابهان في الوظيفة، وذلك لا يسوغ، بالدرجة الكافية، أن يكون المنطق ومناهج البحث شيئا واحدا، ولا يقوم تمييز بينهما، وما نتصوره، أن الاستنباط والاستقراء متلازمان منذ قيام المنطق الأرسطي، وأن الاستقراء لم يظهر لأن له طبيعة علمية يمكن أن تحتاج إلى التجربة التي لم تكن أدواتها ناضجة في العصور التالية، ومع بيكون جرى إحداث يقظة في الاستقراء وبقيت الحاجة للاستنباط لتنظيم النتائج الاستقرائية والانتقال بصورة صحيحة في عالم من اللغة العلمية التي يمكن أن تشمل أكثر من علم، وبتضافر الاستقراء والاستنباط أصبح المنطق مؤهلا لأن يتحول إلى منهج بحث، فالأمر لا يعني فقط بتشابه الوظيفة أو الغاية بين المنطق ومناهج البحث، ولكن مناهج البحث أتت كمحصلة لعملية تراكم تاريخية ومعرفية، وبمعنى آخر، فإنها البناء الذي يقوم على الأساسات التي وضعها أرسطو في منطقه القديم، وبالتالي فالمنطق ومناهج البحث بناء واحد.

---

[1] محمود، زكي نجيب، المنطق الوضعي ١٩٦١، الأنجلو مصرية، القاهرة، ص ٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علما بأن هذا التقسيم قائم لغايات التتبع التاريخي لتطور المنطق عبر محطات تتداخل مع نشأة الوضعية المنطقية كمدرسة أو تقليد فلسفي في النصف الأول من القرن العشرين، فالمنطق يغدو كيانا أوسع في حالة الخروج من التصنيفات القائمة، ويعتبره محمد ثابت الفندي في كتابه أصول المنطق الرياضي "حيويا" و"متصلا" و"فلسفيا"[١]، ويشير الفندي في كتابه الذي يعتبر أول كتاب باللغة العربية في موضوع المنطق الرياضي إلى وجهة نظر راسل الذي يرى في الاستقراء طريقا من طرق الاستنباط ليس إلا[٢]، ويرى الفندي أن التوسع في جعل المنطق ينقسم إلى صوري وتطبيقي أو مادي لا طائل من ورائه، حيث أن لفظة تطبيقي أو مادي يمكن أن تشتمل على ضروب أخرى من التفكير تسعى للاتفاق مع الواقع مثل التفكير الديني والبدائي والصوفي والفني والفلسفي.

يقسم آلان لاسي Alan Lacey، في معجمه الفلسفي، المنطق إلى منطق صوري أو شكلي formal logic، ومنطق فلسفي Philosophical Logic، وفيما يتعلق بالمنطق الصوري فإنه يحدد وظائفه في الوصول إلى البديهيات axiomatize المتعلقة ببعض القضايا مثل العمليات الحسابية، والتأكد من الاتساق والاكتمال في الموضوعات التي يعالجها، وكشف التناقضات، بينما يقوم المنطق الفلسفي باختبار المفاهيم المتضمنة في المنطق الصوري وكيفية توظيف النتائج الصادرة عنه، ولكنه لا يعنى بالآليات المنطقية المطبقة في أي من النظم التي يعمل على دراستها، ولكن لاسي يقرر بأن الحدود بين المنطقين ليست واضحة أو قاطعة في التمييز بين موضوعات المنظومتين المنطقيتين[٣].

إن فهم المنطق يجب أن يتم في ضوء تصور مؤداه أن آليات التفكير أو الفكر أو إنتاج المعرفة في العقل هي ظاهرة تنتمي للعلوم الحيوية والنفسية، وليست، على الإطلاق، موضوعا تخمينيا، وعلى الرغم من أهمية مقولات أرسطو أو مقولات كانط أو أي تصورات أخرى لعمليات التفكير إلا أنها تبقى غير معرفة بصورة صحيحة أو علمية، ونفهم المنطق على أنه مجموعة القواعد والقوانين التي لا يمكن للفكر أن يتناقض معها، ولكنه لا يعمل بموجبها بالضرورة، أو، بمعنى آخر، أنه أداة إرشادية

---

[١] الفندي، محمد ثابت، أصول المنطق الرياضي ١٩٧٢، دار النهضة العربية – بيروت، ص ١٦.
[٢] المرجع السابق، ص ٧٥.
[3] Lacey, A.R.: A Dictionary of Philosophy1976, King's College, University of London, P 184.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للعقل تعمل على تنظيم فكره من خلال إظهار التناقضات التي يمكن أن يقع فيها خلال محاولته الوصول إلى الحقيقة التي يرغبها، ويمكن التدليل على ذلك بمجموعة الأخطاء التي يمكن أن يقترفها طلبة الرياضيات في مجال البرهان الهندسي أو الجبري[١]، الأمر الذي يجعلهم يتغاضون عن بعض القواعد الرياضية أو يقومون بخطوات غير صحيحة أثناء البرهنة، والمنطق وظيفته أن يمثل الوسيلة لتجنيب العقل الوقوع في الخطأ، وهو الفهم الذي يتطابق مع التعريف الذي قدمه ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧) للمنطق في كتابه "النجاة" بأنه آلة تعصم الذهن عن الزلل.

يقدم هنري بوانكاريه Henri Poincaré (١٨٥٤ – ١٩١٢)، أحد الشخصيات الملهمة بالنسبة للوضعية المنطقية، تقسيما مختلفا تماما للمنطق، فهو، من حيث المبدأ، يراه يقع ضمن تقسيم آخر أكبر يوزع العقول العلمية والأفهام العادية إلى تحليلية وحدسية، دون أن يقلل من أهمية الحدس في مواجهة التحليل[٢]، ولكن بوانكاريه يرى أن النزعة التحليلية أخذت مكانها متأخرا، "من المدهش حقا أننا عند إعادة قراءة أعمال القدماء نجد أنفسنا ميالين إلى تصنيفهم جميعا ضمن الحدسيين"[٣].

إن الحدس يمكن أن يؤدي إلى نتائج عبقرية، وحتى نيوتن أو آينشتين Albert Einstein (١٨٧٩ – ١٩٥٥) لم يكونا ليتقدما رغم اعتمادهما الكثيف على التحليل دون وجود هامش من الحدس، وهذا النموذج يتضح أكثر في حالة آينشتين وفي مجال الفيزياء النظرية، ولكن العلم الحديث أخذ يحتاج إلى التحليل، فبأدواته تمكن من

---

[١] الاثبات الخاطئ **mathematical fallacy** هو اثبات مسألة رياضية بطريقة خاطئة مثل اثبات أن ١+١ = ١، وذلك عن طريق البدء من المسألة ٠ + ٠ = ٠، وهي مسألة صحيحة، ويتم تحويلها إلى رموز بحيث تصبح س + س = س ومن ثم قسمتها على س، وبما أن س/س = ١، نصل إلى نتيجة مفادها أن ١+١ = ١، والملاحظ أن الاجراءات التي اتخذت صحيحة، من الناحية الشكلية، إلا أن الخطأ يتعلق بالقسمة على صفر، وهذا القانون من خارج المسألة تماما، وإنما متعلق بالنظام الرياضي ككل، وتوجد إشكالية أخرى، أن الافتراض بأن س/س= ١ ليس صحيحا إلا بموجب قوانين أخرى حيث كان يمكن أن يتم عرضها أيضا بالطريقة س/ س+س = ٢/١، ولكن ليست هذه القضية التي نحن بصددها، فالقسمة على صفر غير جائزة لأن النتيجة هي ما لا نهاية أو عددا غير معرف بحسب أي وجهة نظر رياضية، أليست إضافة المالانهاية إلى المالانهاية تساوي مالانهاية، وذلك ينطبق على العدد غير المعرف الذي لو أضيف إلى عدد غير معرف لكانت النتيجة عددا غير معروف، ولعل ذلك يحمل إشكالية تتعلق بحدود المنطق في الرياضيات وهي ليست موضوعا للرسالة ولكنها جديرة بالتنويه.

[٢] الحدس شكل خاص من أشكال النشاط المعرفي، أو المقدرة على فهم الحقيقة مباشرة دون استدلال منطقي تمهيدي. حيث يُدرك به ما هو معقول وما هو وراء العقل، أي ما هو منطقي وما هو غير منطقي. (الموسوعة العربية، المجلد الثامن ص ٩٤، عبد الحميد صالح) أما التحليل فهو حل المركب إلى البسائط التي يتألف منها، أو ارتداد خلال سلسلة منطقية من القضايا إلى قضية يقر بأنها بينة، وذلك بالابتداء من ثضية يطلب البرهنة عليها وتسلم بأنها صحيحة (بدوي، عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، المجلد الأول ص ٤٢١، منشورات ذو القربى، ايران – قم).

[٣] بوانكاري، هنري: قيمة العلم ترجمة الميلودي شغموم ٢٠٠٦، دار التنوير – بيروت، ص ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصول إلى جزئيات لم تكن معروفة على الوجه الصحيح، وكان تقدير وجودها تخمينيا أو نظريا، ومن هذه الجزئيات الخلايا الحية والذرات، ولكن الانتقال إلى تعميمات في هذه الحالة يتطلب الكثير من الحذر في دراسة العلاقات وفهمها، وهو الأمر الذي يجعل التحليل ضروريا، من وجهة نظر بوانكاريه، فالترابط بين القضايا يلزم أن يتم ذلك على أساس التحليل الذي يسهم في الانتقال من قضية إلى أخرى، ويحقق تكاملا في الصورة التي تتكون أمام العالم.

"يخبرنا الفزيولوجيون أن العضويات مركبة من خلايا، ويضيف علماء الكيمياء أن الخلايا نفسها مركبة من ذرات. هل معنى هذا أن الخلايا أو الذرات تشكل الواقع أو، على الأقل، الواقع الوحيد؟ ألا تشكل الطريق التي ركبت بها تلك الخلايا، والتي تنتج عنها وحدة الفرد، واقعا بدورها، واقعا أكثر أهمية من تلك العناصر المعزولة؟ وعالم الطبيعيات الذي لم يدرس الفيل إلا بالمكروسكوب هل يعرف هذا الحيوان معرفة كافية؟"[١].

بوانكاريه يقودنا إلى التعريف نفسه الذي تبناه ابن سينا قبل قرون، فهو يرى في المنطق أداة أو مجموعة أدوات من شأنها أن تضبط الذهن، وتوجهه لبلوغ المعرفة.

"التحليل الخالص يضع بين أيدينا مجموعة من الطرق التي تضمن العصمة من الخطأ"[٢].

في ضوء ذلك يمكن تفهم الإضافة التي أتت بها الوضعية المنطقية في الجانب المنطقي قبل استعراض هذا التيار الفلسفي وأهم مبادئه وشخصياته، فالمنطق ،بحسب الوضعية المنطقية، تحول إلى توصيف جديد للتصورات التي تنتجها مركبات الإحساس بحسب ماخ، بمعنى أن العمليات الذهنية التي تقوم على تصنيف الإحساسات أصبحت تمثل منهجا للعلم، ولكن ذلك يصطدم بإشكالية وهي وعي الكائن نفسه بهذه الوظائف، فالمنطق إذا كان علما للفكر أو قائما لتنظيم الفكر، فإنه ليس الفكر كما أسلفنا، والعقل، وهو يقوم بالعمليات المنطقية، يتأثر بمجموعة من العوامل، أهمها الميتافيزيقا واللغة، ولذلك كان على الوضعية المنطقية أن تعمل على إضافة

---

[١] المرجع السابق، ص ٢٠- ٢١.
[٢] المرجع السابق، ص ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(مرشحات/ مصافي Filters) تحول دون أن تنساب الميتافيزيقيا بأسئلتها غير القابلة للحل، وإغرائها بالحلول المتكاملة، وكذلك اللغة بما يمكن أن تحمله من تضليل ومراوغة، إلى العقل مباشرة، فما يصل العقل يمكن أن يكون قابلا لأن يكون مادة العمليات المنطقية في العقل، ولكن ذلك لا ينحي جانبا الوعي والذاكرة والخبرات السابقة، والتي تبقى أيضا بجانب المنطق عمليات حيوية نفسية متشابكة ومعقدة لم يتمكن العلم إلى اليوم من الوصول إلى تفكيكها، أو فهمها على الوجه الكامل.

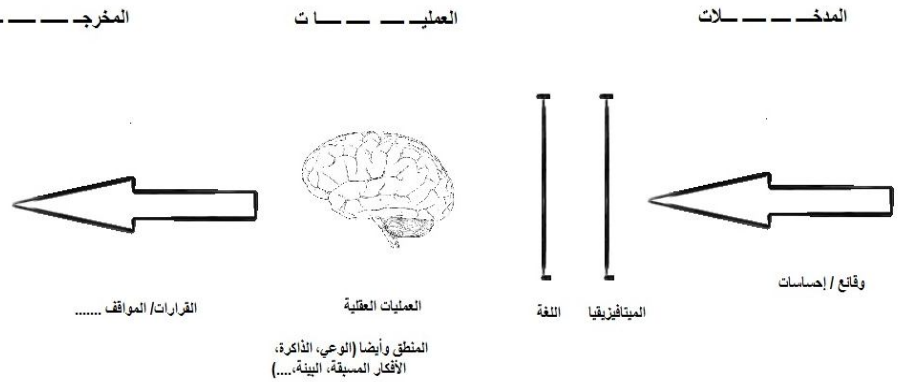

وربما يكون هذا الوضع الذي نتصوره للوضعية المنطقية دافعا لتفعيل جميع الانتقادات التي وجهها لينين **Vladimir Lenin** (١٨٧٠ – ١٩٢٤) في نقده السابق لماخ Ernst Mach (١٨٣٨ – ١٩١٦) ، واعتبار الوضعية المنطقية فلسفة عقلانية مثالية، وبمعنى أو بآخر، فلسفة غير مادية وغير علمية، ولكن ذلك الموقف يمكن أن يأخذ أبعادا أخرى إذا ما درست الوضعية المنطقية بصورة جزئية، وخاصة فيما يتعلق بنبذ الميتافيزيقيا وفهم اللغة، فطبيعة الوعي ما زالت بحاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء[١]، ولذلك يعتبر الوعي أحد العوامل الغامضة في عمليات التفكير، ولا يمكن لما نعرفه عن الوعي أن يقيم العديد من الأفكار الفلسفية حول الكيفيات التي يعي بها الإنسان العالم من حوله، مثل الأوهام التي تحدث عنها بيكون وكيف تسيطر على التفكير، والمقولات الكانطية وإجراءاتها، وإن يكن عالم الأحياء فرانسيس كريك Francis Crick (١٩١٦ – ٢٠٠٤) قد تمكن من فك الشيفرة الوراثية وقراءة

---

[١] يرى لالاند الوعي بمثابة الحدس (التام نسبيا، الواضح نسبيا) الذي يكونه العقل عن أحواله وأفعاله، وأيضا أحد المعطيات الأساسية للفكر، الذي لا يمكن تفكيكه إلى عناصر أبسط، وعلى المستوى الأخلاقي يوجد ترادف بين الوعي والضمير والوجدان، بحيث تفهم هذه المصطلحات بصفتها خصوصية العقل البشري في إصدار أحكام معيارية/ قيمية، تلقائية وفورية، على القيمة الأخلاقية لبعض الأعمال الفردية المحددة (موسوعة لالاند ص٢١٠ – ٢١٣) وعلى مستوى علم النفس يفهم الوعي على أساس أنه أحد الوظائف العقلية التي تتعامل مع المحفزات الخارجية والداخلية، الموضوعية والذاتية (The Gale Encyclopedia of Psychology, p 150) إلا أن مفهوم الوعي لا يحظى بالاتفاق بين العلماء والباحثين في مجالات علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، وما يمكن الاتفاق عليه أن تفهم الوعي بالصورة الصحيحة يمكن أن يسهم في فهم العقل وآليات التفكير المختلفة (Stanford Encyclopedia of Philosophy).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدي أن إيه D.N.A في ستينيات القرن الماضي، فإن الوعي ،بنفس المعنى، ما زال مفهوما مجهولا[١] وكل ما يدور حوله من أحاديث وما يعالجه من نظريات لا يرقى إلى مستوى الكشف العلمي.

الوضعية المنطقية: البداية والتطور

إن بداية الحديث عن الوضعية المنطقية يتطلب التفريق بين عدة تسميات لهذه الحركة الفلسفية، ومحاولة استكهان الدلالات المرتبطة بكل تسمية، فالفكر الذي حمله موريتس شليك **Moritz Schlick** (١٨٨٢ – ١٩٣٦) وزملاؤه المؤسسون لم يكن ليقتصر على ما توحي به الوضعية المنطقية من معاني فقط، فحلقة فيينا Vienna Circle التي بدأت في جامعة فيينا سنة ١٩٢٢ مع انتقال موريتز شليك إلى أروقتها أطلقت بيانها التأسيسي تحت عنوان "التصور العلمي للعالم" متأخرا وتحديدا في آب ١٩٢٩، وتشارك في صياغته هانز هان Hans Hahn (١٨٧٩ – ١٩٣٤) وأوتو نويراث **Otto Neurath** (١٨٨٢ – ١٩٤٥) ورودلوف كارناب**Rudolf Carnap** (١٨٩١ – ١٩٧٠)[٢]، وكان ذلك البيان خطوة لبلورة الحركة الفلسفية التي تبنتها حلقة فيينا (مجتمع أرنست ماخ Ernst Mach Society) قبيل المؤتمر العلمي الذي عقدته حلقة فيينا بالتعاون مع جمعية الفلسفة التجريبية في برلين في ١٥ و١٦ أيلول ١٩٢٩ في مدينة براغ، ويوضح البيان أن حلقة فيينا، أساسا، أتت لمناهضة النزعة الميتافيزيقية، والثيولوجية المتنامية، ليس في مختلف أوجه الحياة، وإنما في مجال العلوم أيضا، وتعتمد الحركة على التنامي المقابل لكل من روح الأنوار والأبحاث المناهضة للميتافيزيقيا، وينوه البيان بمناهضة الميتافيزيقيا في بريطانيا استنادا إلى التقاليد التجريبية العريقة، وما أحرزته أبحاث راسل ووايتهيد في علم المنطق من اعتراف عالمي، وكذلك الحركة الفلسفية الأمريكية ويشيرون إلى وليام جيمس William James (١٨٤٢ – ١٩١٠) تحديدا، والمحاولات الروسية للوصول إلى مفهوم علمي للعالم حتى مع وجود النزعة المادية السابقة تاريخيا فيها، وفي النهاية يشيرون إلى الجهود الأوروبية في السياق نفسه وخاصة في برلين مع ريشنباخ

---

[١] راديلي، مات: فرانسيس كريك.. مكتشف الشفرة الوراثية، ترجمة: إيمان فتحي سرور ٢٠١٠، كلمات عربية للترجمة والنشر:القاهرة، ص ١٠.

[٢] بحسب فريدريش ستادلر Friedrich Stadler مع أن البيان كان مهدى لشليك أثناء تواجده في جامعة ستانفورد الأمريكية كأستاذ زائر،إلا أنه لم يكن راضيا عن محتوى البيان وصياغته، واعتبره بمثابة الدعاية الصاخبة ballyhoo style، ويتشابه موقف شليك مع الموقف الذي اتخذه فتجنشتين حيال نفس البيان، لمزيد من التفاصيل Cambridge Companion to Logical Empiricism, p 14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Reichenach (١٨٩١ – ١٩٥٣) وبيتزولـــــــدت Petzoldt (١٨٦٢ – ١٩٢٩) وجـــــريلنج Grelling (١٨٨٦ – ١٩٤٢) و دوبيســـــلاف Dubislav (١٨٩٥ – ١٩٣٧)[١] وآخرون، وتضع حلقة فيينا نفسها ضمن هذا الحراك المعرفي.

ويشير البيان إلى التوجهات السياسية الليبرالية التي سادت النمسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مما جعلها أرضية مناسبة لليبرالية والأفكار المستمدة من التنوير والتجريبية ومذهب المنفعة، وفي هذه البيئة يتتبعون تطور أفكار أرنست ماخ الذي يمثل نموذجا للحركة العلمية في النمسا، وهو الشخصية التي دفعت جامعة فيينا إلى تأسيس مقعد فلسفة العلوم الاستقرائية خصيصا له، وخلفه في هذا المنصب العالم لودفيج بولتزمان Ludwig Boltzmann (١٨٤٤ – ١٩٠٦).

ويشير البيان إلى خمسة روافد جمعت المهتمين بحلقة فيينا حول موريس شليك وهي:

١- الوضعية والتجريبية: هيوم Hume، عصر الأنوار Enlightenment، كونت Comte، ميل J. S. Mill، أفيناريوس Richard Avenarius وماخ Mach.
٢- تأسيس وأهداف ومناهج العلم التجريبي (الفرضيات في الفيزياء والهندسة...): هلمهـــولتز Helmholtz، ريمـــان Riemann، مـــاخ Mach، بوانكاريـــه Poincaré، انريكيـــه Enriques، دوهـــم Duhem، بولتزمـــان Boltzmann، آينشتين Einstein.
٣- المنطق وتطبيقاته: ليبنيتز Leibniz، بيانو Peano، وفريجه Frege، شرودر Schroder، راســـــل Russell، وايتهيـــــد Whitehead وفتجنشـــــتين Wittgenstein.
٤- البديهيات Axiomatics: باش Pasch، بيانو Peano، فيالاتي Vailati، بييري Pieri، هلبرت Hilbert.

---

[١] بخصوص بيتزولدت لم نجد في الموسوعات الفلسفية ما يشير إلى أعماله سوى أنه كان مقربا من رايشنباخ ويذكر بوخنيسكي في كتابه عن تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا أنه كان تلميذا لافيناريوس ووضع مجلة "حوليات فلسفية" تحت اشراف المدرسة الوضعية المنطقية، أما جريلنج، فهو كورت جريلنج Kurt Grelling (١٨٨٦- ١٩٤٢) فيلسوف وعالم منطق ألماني، وعضو في حلقة برلين، ودوبيسلاف هو والتر دوبيسلاف Walter Dubislav (١٨٩٥- ١٩٣٧) فيلسوف وعالم منطق ألماني من المهتمين بالمنطق الرياضي، وأعمال فريجه بوجه خاص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- مذهب المتعة وعلم الاجتماع الوضعي: أبيقور Epicurus ، هيوم Hume، بنتام Bentham، ميل J. S. Mill، فيورباخ Feuerbach، ماركس Marx، سبنسر Spencer، ميتلر - لاير Mtiller-Lyer، بوبر – لينكوس Popper-Lynkeus و كارل منجر Carl Menger (the elder).

إن هذه الروافد توحي فعليا بتسمية الوضعية المنطقية أو التجريبية المنطقية، ولكن التساؤل عن سبب تجاهل تسميات تشير إلى الواقعية أو النفعية، ويبدو أن ذلك مرده إلى التركيز على تأسيس المدخل المنطقي – الوضعي – التجريبي أكثر من العائد النفعي – الواقعي، الذي يمكن أن تصل له حلقة فيينا، ويبدو أن التركيز على الأدوات أو المدخل هو الأمر المتوقع، حيث تتمايز الفلسفات أساسا بأدواتها والطرق التي تمهدها للوصول إلى غاية اتفاقية وهي السعادة أو المنفعة الإنسانية، كما أن الوضعية المنطقية مرت بظروف تاريخية ذاتية وموضوعية جعلتها تتوقف قسريا عن التطور وتنحصر في فلسفة علمية محددة، وكانت هذه الظروف ذات طبيعة سياسية حيث أدى صعود النازية إلى استهداف العديد من أعمدة المدرسة من أصول يهودية، مما أدى إلى مغادرة العديد منهم النمسا وألمانيا باتجاه أكثر من بلد في العالم.

قبل المضي قدما في دراسة التجريبية المنطقية يجب ألا نغفل عن الإشارة إلى كونها إحدى الفلسفات التحليلية، وفي الدليل الصادر عن جامعة كامبريدج Cambridge Companion to Logical Empiricism يشير آلان ريتشاردسون Alan Richardson (١٩٥٩ - ....) من جامعة كولومبيا البريطانية University of British Colombia (كندا) وتوماس يوبيل Thomas Uebel (١٩٥٢ - ....) من جامعة مانشستر University of Manchester إلى ذلك بوضوح.

"إذا كان ثمة حركة أو مدرسة فلسفية تمثل الفلسفة التحليلية في منتصف القرن العشرين فهي، حسب جميع الاعتبارات، التجريبية المنطقية، والتجريبيون المناطقة مثل هانز رايشنباخ Hans Reichenach و ردلوف كارناب Rudolf Carnap و كارل هامبل Carl G. Hempel (١٩٠٥ – ١٩٩٧) وهربرت فايجل Herbert Feigl (١٩٠٢ – ١٩٨٨) أثروا مع الخمسينيات في موضوعات جوهرية في الفلسفة التحليلية، وكانوا فاعلين من الناحية العلمية والتقنية في بناء فلسفة علمية وتأسيس المنطق الرياضي كموضوع وأداة في مجال الفلسفة، وكذلك في بناء علم الدلالات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقـدمت الوضـعية التجريبيـة فهمـا مهمـا لطبيعـة التجريبيـة ورفضـا جديـدا للميتافيزيقيا"[١].

لا ينفـي انتمـاء ريتشاردسـون ويوبيـل إلـى الثقافـة الإنجليزيـة التحيـز فـي تقديم الفلسفة الوضعية المنطقية من حيث المبدأ كفلسفة تحليلية قبل أي اعتبـار آخـر، فالفلسفة التحليليـة بشـكل عـام وعبـر أعلامهـا مثـل راسـل و فتجنشـتين **ludwig Wittgenstein (١٨٨٩ – ١٩٥١)** ومـور **George Moore (١٨٧٣ – ١٩٥٢)** نشـأت أساسـا فـي جامعـة كمبـردج[٢]، ولكـن ذلـك لا يتعـارض مـع التـأثير الـذي تركـه راسـل وفتجنشـتين فـي مرحلتـه المبكـرة والمتـأخرة علـى الفلاسـفة المنضـوين تحـت رايـة الوضـعية المنطقيـة، فالوضـعيون المناطقـة تـأثروا بنظريتـه فـي الأوصـاف كنمـوذج للفلسـفة التحليليـة، والاهتمـام بـالمنطق كأسـاس لحقـائق الرياضـيات، وإعـادة البنـاء المـنظم والتجريبـي للمعرفة بالعالم الخـارجي وهـو مـا أفـاد منـه كارنـاب تحديدا فـي كتابـه "البنـاء المنطقـي للعـالم"، ومـن فتجنشـتين أخـذوا إمكانيـة اختبـار الوضـوح وتعريـف الضـرورة وفهـم الحقـائق القبليـة والتحليليـة والتفرقـة بـين العبـارات ذات المعنـى مـن الناحيـة التحليليـة والتجريبية، وإهمال جميع الموضـوعات التـي اهتمـت بهـا الفلسـفة التقليديـة لأنهـا خاليـة من المعنى واعتبار هدف الفلسفة أن تمثل أداة للتخلص من اللبس النـاتج عن استخدام اللغة بواسطة التحليل الفلسفي[٣].

إلا أن هذا المدخل يجعل الوضعية المنطقية مجرد فرع من الفلسـفة التحليليـة[٤]، وعلـى الـرغم مـن الاشـتراك فـي العديـد مـن وجهـات النظـر مـع الفلاسـفة التحليليـين، فـإن الوضعية المنطقية حملت دائما هوية خاصة بها، ويمكن أن تـوجز هـذه الهويـة فيمـا قدمـه ياسين خليل (١٩٣٤ – ١٩٨٦) في كتابه مقدمة في الفلسفة المعاصـرة مـن خـلال مبـادئ اعتبر أنها تجعل من الوضعية المنطقية وحدة فلسفية، وهذه المبادئ هي:

١- "محاولة جعل الفلسفة علمية، والعمل على وحدة العلم.

---

(1) Alan Richardson & Thomas Uebel (editors), Cambridge Companion to Logical Positivism 2008, Cambridge University press., P 1.

(2) Encyclopedia of Philosophy, Borchert, Donald Editor-in-Chief, Macmillan Reference, USA, Thomson – Gale 2006, editor of "Analytic, Philosophy" article is Scott Soames, Professor, School of Philosophy, University of Southern California p 144, 145.

(3) Ibid, p 149.

(٤) في الموسوعة الفلسفية المختصرة التي أشرف على ترجمتها د.زكي نجيب محمود ثمة إشارة إلى الاستخدام "الغامض والمهوش" للوضعية المنطقية في صدد الحديث عن الفلسفة التحليلية عامة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- بناء المعرفة على أسس تجريبية ومنطقية، فالرياضيات البحتة منطقية، والعلوم الطبيعية والتجريبية أساسها التجربة والخبرة.
٣- رفض جميع التأملات الفلسفية التي ينقصها التحليل والدقة والوضوح، وبذلك لا تجد الميتافيزيقيا التقليدية مكانا لها في المعرفة العلمية"[١].

ليست العلوم، بحد ذاتها، هي الغاية من وراء أنشطة الوضعية المنطقية، فالعلوم تتقدم بغض النظر عن التأطير الفلسفي، ولم يكن لا آينشتين ولا بور ولا بلانك معنيين بآراء الوضعية المنطقية في تبيان وجهات نظرهم للعالم الطبيعي بناء على التقدم الذي يحرزونه في مجال الفيزياء الذرية، فالوضعية المنطقية في النهاية تقرأ التقدم العلمي، ولا تشترك فيه، ومن الصعب أن نتخيل عالما يعنى بقراءة آراء كارناب أو رايشنباخ قبل دخوله إلى المعمل، مع أنه يمكن أن يطلع على بعض آرائهم ليقوم بتعديل تصميم تجاربه أو ضبط نتائجه، وهذه تحديدا إحدى غايات الوضعية المنطقية، وهو الوصول إلى لغة للعلم، ويشير كارناب إلى ذلك بوصفه لاستدعاء المنطق كأداة متداخلة مع البحث العلمي في أيس من مجالاته.

"العالم الواقعي هو ذلك العالم الذي يتغير باستمرار. فنحن على يقين أن أكثر القوانين أساسية في الفيزياء تختلف قليلا من قرن إلى آخر. ولكن مثل هذه التغيرات لا يمكنها أن تحطم أبدا صدق قانون منطقي أو حسابي واحد، مهما كانت درجة تأثيرها"[٢].

إن الحكم المذكور أعلاه أصدره كارناب في منتصف الستينيات، وذلك بعد أن هجر أجواء الوضعية المنطقية، بيد أنه يعود فيناقش أهمية القوانين الرياضية والمنطقية في العلوم، ويعود ويطرح فكرة تبدو مختلفة عما تبناه في شبابه، وهو يحاول أن يتفهم البناء المنطقي للعالم، فالقوانين المنطقية يمكن أن تفسر حوادث أي عالم ممكن، حتى لو كان ذلك العالم خياليا بالكامل مثل عوالم الحوريات أو الجن، فطالما أن التناقض المنطقي لم يحدث، فإن ذلك يكفي لضبط ذلك العالم وفق قوانين منطقية، ولكن ذلك لا ينسحب على العالم الطبيعي، وهو الأمر الذي لم تلتفت له دائرة

---

[١] خليل، ياسين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة ١٩٧٠، منشورات الجامعة الليبية، ص ٢٦٨.
[٢] كارناب، رودلف: الأسس الفلسفية للفيزياء ١٩٦٦ ، ترجمة: سيد نفادي، دار الثقافة الجديدة: القاهرة، ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيينا، فالاهتمام بالمنطق والرياضيات ومحاولة تطبيقهما على القوانين العلمية، ليست دائما ناجحة.

"لا يمكن استخدام قوانين المنطق والرياضيات البحتة، بحكم طبيعة هذه القوانين، كقاعدة للتفسير العلمي، لأنها لا تخبرنا عن شيء يميز العالم الواقعي عن أي عالم آخر ممكن. فعندما نسأل عن تفسير لحقيقة ما، أو ملاحظة نوعية في العالم الفعلي، علينا أن نستخدم قوانين امبريقية لن يكون لها طابع اليقين الذي نجده في القوانين المنطقية والرياضية، لكنها يمكن أن تنبئنا بشيء ما عن بناء العالم"[١].

ومما هو جدير بالذكر أن كارناب ينتقد الوضعية المنطقية التي حظرت التساؤل عن "لماذا"، وقررت أن السؤال المشروع هو "كيف" وحسب، ويفسر ذلك في إطار ردة الفعل على مناخ المثالية الألمانية السائد، فالوضعية المنطقية حظرت الأسئلة التي تحمل صيغة "لماذا" على اعتبار أن اسئلة كهذه تفتح الباب للمثالية، ولكن هذا الهاجس كان يتراجع في الستينيات وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث بدت المثالية ذات تأثير ضعيف ومحدود هناك.

"ولقد تغير اليوم هذا المناخ الفلسفي. ومع ذلك هناك في ألمانيا فلاسفة قلائل، لا يزالون منخرطين في التقليد المثالي، أما في إنجلترا والولايات المتحدة فقد اختفى هذا عمليا، ونتيجة لذلك، لم تعد تقلقنا أسئلة لماذا، ولم نعد نقول "لا تسأل لماذا" لأنه عندما يسأل شخص ما الآن لماذا، فإننا نفترض أنه يعني به معنى علميا، لا ميتافيزيقيا، إنه يسرنا ببساطة أن نفسر شيئا ما، بوضعه في إطار القوانين الإمبريقية.

عندما كنت شابا صغيرا، وعضوا في دائرة فيينا، كانت بعض مؤلفاتي المبكرة مكتوبة كرد فعل على المثالية الألمانية، ونتيجة لذلك، كانت هذه النشرات، وتلك التي كتبها آخرون من دائرة فيينا، مليئة بتلك العبارات التي تحظر الأشياء التي ناقشناها من قبل، وعلينا أن نتفهم هذه المحظورات من السياق التاريخي الذي نجد أنفسنا متواجدين فيه، أما اليوم، وبصفة خاصة في الولايات المتحدة، لم نعد نضع مثل هذه المحظورات"[٢].

---

[١] المرجع السابق، ص ٢٨.
[٢] المرجع السابق، ص ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نخلص، مما سبق، وفي ضوء ما ذهب إليه كارناب، إلى ما يلي:

١. حاولت الوضعية المنطقية أن تفسر العالم بوصفه أشياء ومسائل جزئية بناء على القوانين الإمبريقية، وفهم العلاقات التي تربط بين الجزئيات والموضوعات الفرعية بناء على أسس منطقية ورياضية، وفي النهاية كان هذا المستوى من الفهم كافيا، ويمثل الحد الأقصى للتفسير الكيفي، دون أن يتورط في التفسير الغائي، وبذلك وضعت حدودا بين العالم الفيزيقي والعالم الميتافيزيقي.
٢. كانت ردة فعل الوضعية المنطقية على الميتافيزيقيا تبدد الكثير من جهود حلقة فيينا، فالميتافيزيقيا تراجعت مكانتها لدى مختلف المدارس الفلسفية مع منتصف القرن العشرين، وخاصة في أوروبا، وبالتالي لم تعد المعطيات التي قدمتها الحلقة في نقض الميتافيزيقيا تكتسب القبول أو الاهتمام الكافي من الأوساط الفكرية، فالميتافيزيقيا لم تعد عمليا موضوعا يستقطب الاهتمام، وبالتالي يمكن أن تنضم حالة الميتافيزيقيا المتراجعة بجانب الظروف السياسية التي شتت أعضاء الحلقة، كأسباب لتراجع الاهتمام بطروحاتها في المجال الفلسفي.

قبل الشروع في بلورة الوضعية المنطقية تجدر الإشارة إلى مقدمة براين ماجي **Bryan Magee (١٩٣٠ - ....)** لحواره مع ألفرد أير A. J. Ayer (١٩١٠ – ١٩٨٩) بخصوص الوضعية المنطقية وتركتها، حيث يربط ماجي النظر في الفلسفة من الداخل ومحاولة فهمها لدورها في العالم بحركة الحداثة الواسعة في السنوات المبكرة من القرن العشرين، والتي جعلت كثيرا من الفنون مثل الرسم والموسيقى والشعر والرواية تنأى عن التمثيل غير الواعي للعالم والخبرة وتتوجه إلى الذات، ويضرب مثلا بعملية الكتابة الشعرية التي أصبحت موضوعا للقصيدة، وكذلك الصعوبات التي تواجه كون المرء شاعرا[١]، وبالتالي فإن القرن العشرين شهد انكفاء الفلسفة على تفهم ذاتها، وتلمس طريقها في عصر حديث لا يأبه بالتأمل الفلسفي، وكان يتوجب على الفلسفة أن تختبر حاجة الإنسان والعالم للتفلسف، ولم تكن الوضعية المنطقية هي المدرسة الوحيدة التي نظرت في هذه الوضعية وحاولت أن تقدم حلها الخاص، ففي فترة متزامنة كان إدموند هوسرل Edmund Husserl (١٨٥٩ – ١٩٣٨) يصدر كتابه "الفلسفة علما دقيقا" ويطرح أسئلة قريبة مما طرحته الوضعية المنطقية، وكانت فلسفة العلوم تمر بشكل عام بحركة تقدم كبيرة مع

[١] ماجي، براين: رجال الفكر، مقدمة للفلسفة الغربية المعاصرة، ترجمة: نجيب الحصادي ١٩٩٨، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، ص ٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غاستون باشلار Gaston Bachelard (١٨٨٤ – ١٩٦٢) وكارل بوبر Karl Popper (١٩٠٢ – ١٩٩٤) وغيرهما.

إن تناول الوضعية المنطقية وأفكارها مسألة صعبة، فكما يشير مورتون وايت Morton White (١٩١٧ - ....) فإن "المذهب الوضعي المنطقي، على غرار أية حركة صغيرة شديدة الحساسية، حاول في أغلب الأحيان أن يحتمي بالتعاون بل بالتضامن النادوي"[١] ونفس الانطباع يخرج به بوخينسكي الذي يسوق رأي رايشنباخ الذي شبه تعصب زملائه من المناطقة الوضعيين بالتعصب الديني أو الطائفي[٢].

هذه الطبيعة التي صبغت الوضعية المنطقية جعلت من تتبع تطورها وأفكارها مسألة صعبة، وأبرز المعالم على طريق تطور الوضعية المنطقية هو الثورة في نظريات الفيزياء التي شهدها القرن العشرون. ويشير دونالد جيليز **Donald Gillies** (.... - ....) إلى تأثير أينشتين على حلقة فيينا سواء من خلال مراسلاته التي كان شليك يحرص على قراءتها لأعضاء الحلقة[٣]، أو من خلال الصداقة الشخصية القوية التي ربطته بشليك[٤]، وبالتالي فإن نقطة البداية المناسبة للنظر في الوضعية المنطقية تمثل النزعة العلمية التي قامت على أساسها الجماعة، حتى أنها تورطت في وجهة النظر التقليدية التي حملتها الوضعية الكونتية بأن استعاضت عن نظرية المعرفة بنظرية العلم[٥]، ويبلغ اعتداد الفلسفة الوضعية المنطقية بالعلم للدرجة التي يصفها أحمد ماضي (١٩٤١ - ....) على النحو التالي:

---

[١] وايت، مورتون: عصر التحليل.. فلاسفة القرن العشرين ترجمة أديب يوسف شيش ١٩٧٥، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق، ص ٢٢٣.

[٢] بوخينسكي، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ترجمة محمد عبد الكريم موافي، مؤسسة الفرجاني، طرابلس ليبيا، ص ١٠٧.

[٣] جيليز، دونالد: فلسفة العلم في القرن العشرين ترجمة: حسين علي ٢٠٠٩، التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ص ١٣٣.

[٤] المرجع السابق، ص ١٣٩.

[٥] هابرماس، يورغن: المعرفة والمصلحة ترجمة: حسن صقر ٢٠٠١، منشورات الجمل- كولونيا / المانيا، ص ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والجدير بالذكر أن المناطقة الوضعيين لا يكتفون بإضفاء الطابع العلمي على فلسفتهم فحسب بل يعتبرون ظهور فلسفتهم ((ثورة علمية)) دكت الميتافيزيقيات السابقة دكا جذريا وأدت إلى ((انقلاب)) لا نظير له في تاريخ الفكر الإنساني"[١].

يواصل ماضي الحديث عن الثورة العلمية المفترضة للوضعية المنطقية، وتتبدى العلاقة في موضوع لغة العلم، فالفلسفة تبحث لنفسها عن هوية جديدة، هذه الهوية مستمدة من دور، من ضرورة في العالم الحديث، لم تعد الأسئلة الميتافيزيقية لتجذب أحدا أو تثير اهتمامه في العصور الحديثة، فالأسئلة التي استغرقت الفلسفة لقرون طويلة أصبحت من اختصاص العلم، ويبدو أن كل علم ينحو للاستقلال عن شجرة الفلسفة بمجرد أن يحصل الدارسون فيه على مجموعة من الإجابات الكافية، أما الميتافيزيقا فمستغلقة كما أن موضوعاتها ليست علمية بطبيعتها، ويوضح ماضي، في عرضه لآراء الوضعية المنطقية، ذلك الدور الذي تواضعت له الفلسفة.

" وفحوى هذه ((الثورة العلمية)) أن الفلسفة لم تعد تهتم لا بالإنسان ولا بالعالم وإنما بالتحليل المنطقي لأقوال العلماء وعبارات الناس في حياتهم اليومية وغدا الفلاسفة يستعملون رموزا دقيقة مماثلة لرموز العلماء"[٢].

إن سيادة العلم لا يمكن أن تكتمل، دون تعميمه، والذي لا يتأتى إلا باللغة. واللغة العلمية هي لغة تواضعية يمكن أن تفهم من قبل العلماء، ومن المهتمين بالمجالات العلمية المختلفة، ولضمان أن تتحدث العلوم لغة واحدة، منضبطة، وقابلة للتعميم والنقل، يأتي دور الفيلسوف الذي يقع على عاتقه أن يتأمل في اللغة العلمية، وبذلك تصبح اللغة أحد الاهتمامات الأساسية للوضعية المنطقية، حتى أن يحيى هويدي يضعها مع الذرية المنطقية في مجال الفلسفات التي تهتم بالوجود اللفظي، ويرى هويدي أن نزعة الوجود اللفظي حولت اهتمام الفلسفة من ميدان الوجود العام إلى ميدان اللفظ واللغة[٣]، وعلى ما يحمله ذلك من تجني على الوضعية المنطقية ويحاصرها في رؤية ضيقة من زاوية فتجنشتين، إلا أن اللغة، لدى المناطقة الوضعيين ضرورية، من حيث هي أداة لفهم العالم، هي أحد المرشحات التي أشرنا

---

[١] ماضي، أحمد (١٩٦٩) حوار فلسفي مع الدكتور زكي نجيب محمود، مجلة الآداب العدد (٤) لسنة ١٩٦٩: نيسان ١٩٦٩ ، بيروت: دار الآداب، ص ٤٢.

[٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[٣] هويدي، يحيى: قصة الفلسفة الغربية ١٩٩٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة، ص ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها سابقا. وليتمكن العقل من الفهم ضمن رؤية علمية، فإن عليه أن يستقبل لغة صحيحة ومعبرة وذات معنى، غير مختلطة بالتهويم أو اللغو. وعلى ذلك يمكن أن يعمل الجهاز المنطقي والتحليلي في العقل بناء على معطيات صحيحة. إن اللغة ليست غاية أو وجودا في حد ذاتها، ولكنها وسيلة أساسية للتعامل مع العالم والأشياء.

إن فلسفة العلم تتعامل مع الموضوعات التي تعالجها من حيث هي أخبار أو قضايا، وتعتبر الماصدقية مسألة أساسية في قبول أي من مسائل العلم، إن لغة العلم إخبارية بطبيعتها، ومقابل التجربة كمصدر للمعرفة تتكون القضايا التي تحكم بمعيار الصدق، وتطلق يمنى طريف الخولي (١٩٥٥ - ....) مقولة "العلوم الإخبارية" على العلوم الطبيعية الحديثة[١]، إن الوضعية المنطقية تحدد مهمة الفلسفة في التعامل مع هذه العلوم، وأي موضوع لا يكتسب معنى إلا إذا كان ذلك قابلا للتحقق، ووسيلة التحقق المتاحة هي التجربة، ولكن في اللغة اليومية أو حتى لغة بعض العلوم لا يمكن للتجربة أن تكون فاعلة، فإن التعويض يتم على أساس القياس بعلوم تجريبية، ويمكن في ضوء ذلك تفسير توق العلوم الإنسانية الحديثة للخروج من عباءة الفلسفة والبحث عن حياة مستقلة، فعملت على استلهام العلوم التجريبية، وعلى سبيل المثال أخذت مفهوم رد الفعل من مجال العلم الفيزيائي، واستثمرته كمفهوم سيكولوجي وسياسي أيضا، يأتي هنا دور للوضعية المنطقية، فوحدة العلوم كأحد الأهداف الكبرى للوضعية المنطقية والوضعية بشكل عام لا يمكن إلا أن تقوم على أساس لغة للعلوم، وبناء هذه اللغة وتطويرها وصيانتها، مهمة فلسفية، أو المهمة الوحيدة المقبولة للفلسفة.

يجب أن نتفهم تاريخية حركة العلم وعلاقته مع الإنسان الفرد والمجتمع الإنساني، فعقب الاكتشافات العلمية الكبرى تحدث مرحلة من النشوة بقدرة العلم، يعتقد الإنسان بشكل عام أنه يقترب من اكتشاف الحقائق الكلية دفعة واحدة، ويحدث التباطؤ، وتبدأ محدودية العلم في الظهور، بوضوح، وما يعتقده الإنسان بأنه قطعي وأنه يمثل ذروة العقل في مرحلة ما، يصبح موضوعا للمراجعة وربما التفنيد، حتى في الحقائق الفيزيائية، نيوتن تعرض لذلك، وأينشتين كذلك، ففي مرحلة الانتشاء بالكشف العلمي تظهر حركات فلسفية تندفع بثقة بناء على الدفقة العلمية، ولكنها تتراجع أمام الحراك النقدي الذي يواجه الكشوفات العلمية. إن الرياضيات والهندسة

[١] الخولي، يمنى طريف: فلسفة العلم في القرن العشرين ٢٠٠٠، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ص ٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمنطق فقط لا تتعرض لهذه الانتكاسات كما يتضح في الاقتباس الذي أخذناه سابقا عن كارناب، فنظرية فيثاغورس **Pythagoras (٥٧٠ ق م – ٤٩٥ ق م)** التي تقول بأن مربع طول الوتر يساوي مجموع مربعي القائمين الآخرين في المثلث ذي الزاوية القائمة، هذا صحيح، حتى لو لم يكن مجموع زوايا المثلث ١٨٠ درجة، فتقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة مسألة اصطلاحية، يمكن أن تقسم إلى مائة أو مائتين أو ألف، يكفي أن يتفق العلماء على ٣٦٠ درجة، ولكن ذلك لا يغير من نظرية فيثاغورس، ويبقى المثلث هو أبسط الأشكال الهندسية المضلعة، ويمكن تقسيم أي شكل مضلع كالمربع والمستطيل واخماسي والسداسي الأضلاع إلى مثلثات، وحتى الدائرة فإنها تقسم إلى مثلثات لا متناهية، فالمثلث هو أساس البنية الهندسية، هذه حقائق لا تتغير.

الوضعية المنطقية تقدمت على أساس الثورة العلمية النسبية والكمومية، وحملت طموحا كبيرا وتطرفت في آرائها، ولكنها قدمت حلا معقولا، تقييد العلوم بالمنطق، ويتحول المنطق إلى لغة للعلوم، حتى الرياضيات كما أثبت راسل تستند أساسا للمنطق، ولأن العالم ومكوناته ليسا ببساطة التحليل الهندسي، فإن الاستنباط يتداخل مع الاستقراء في مسار لولبي متصاعد، الاستقراء ضروري لمتابعة العالم وفي مرحلة ما سيتدخل الاستنباط للخلاص بالنتائج، وكل ذلك يلزمه لغة خاصة، لغة علمية.

كي تمضي الوضعية المنطقية في هذا التطور يلزم مجموعة من الإجراءات، أولا: التخلص من الخصم اللدود، الميتافيزيقيا، التي تفسد كل شيء في لحظة ما، استبعاد "لماذا" لمصلحة "كيف"، الكيف يمكن تصريفه منطقيا وعلائقيا، ولكن لماذا مسألة صعبة، ثمة ((لماذا)) محرجة ستواجه الفلسفة، حتى في مجال المنطق، فهل هناك أسبقية للمنطق على الوجود أم أسبقية للوجود على المنطق؟، هذا سؤال ميتافيزيقي بامتياز، فهو يعني الخروج لعالم التصميم الذكي، أو تطور المادة إلى وعي، ثمة حلول كثيرة، ولكنها ليست قابلة للتحقق، الوضعية المنطقية تكتفي بالواقع الملموس، وليست معنية بما قبل الوجود أو ما بعده، الإحداثيات الأساسية للوضعية المنطقية هي علمية، وليست لفظية، وعلى ذلك يأتي الخلاف مع يحيى هويدي (....-....) وتعبيره عن الوجود اللفظي، فالوجود اللفظي لا يخرج الميتافيزيقيا، ولكن الوجود الملموس هو الذي يفعل ذلك، لا يمكن تقطيع الأفكار ووضعها تحت المجهر، ولكن يمكن أن يتم ذلك مع الخلايا والجينات، هذه الأشياء تمتلك تاريخا ومستقبلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محدودا، وبالتالي هي الواقع الممكن، هي المجال الذي تعنى به الوضعية المنطقية، لا شيء خارج ذلك.

لقد ألقت بنية حلقة فيينا بأثرها على فلسفة الوضعية المنطقية، وكذلك أدى التباين بين أعضائها إلى عدم الاستقرار على صيغة نهائية للوضعية المنطقية تقدمها بصورة متكاملة، وكانت تقييمات المشتغلين بالفلسفة متباينة جدا بخصوص أهميتها، فبعضهم لا يذكرها ضمن فلسفات القرن العشرين المؤثرة، وآخرون مثل روبرت وولف Robert Wolff (١٩٣٣ - ....)[1] يعتبرونها في نظر الرجل العادي بجانب الوجودية الفلسفات الأكثر شيوعا في القرن العشرين، ووسط الكثير من الأدبيات التي خلفتها الوضعية المنطقية يمكن أن تحدد ثلاثة عناصر أساسية اعتمدت عليها حلقة فيينا:

١. الموقف من العلوم والسعي لوضع منطق أو منهج علمي يمكنه أن يتعامل مع مختلف العلوم.
٢. الموقف من الميتافيزيقيا.
٣. تحليل اللغة والاعتماد على معيار التحقق كأساس لنظرتهم للمعنى.

ونظرا لتداخل النقطتين الثالثة والأولى فإنه يمكن التعامل معهما بشكل عام بوصفهما قضية واحدة، والأمر نفسه بالنسبة للقضيتين الثالثة والثانية، إلا أننا سنعمد إلى وضعية توفيقية تمكن من قراءة الوضعية المنطقية بصورة مختلفة، وذلك ضمن وجهتي نظر، الأولى هي الصورة الخاصة بها وهي "الرؤية العلمية" وهو الموقف الايجابي، والثانية، الموقف من الميتافيزيقيا بوصفه موقفا سلبيا، ومن طيات الوجهتين يمكن مناقشة التحليل المنطقي واللغوي ومعيار المعنى، حيث أنها تبدو إلى حد ما أدواتهم العامة للتفريق بين العلمي والميتافيزيقي، وتحديد من معهم ومن ضدهم.

وبخصوص الرؤية العلمية أو السعي لطرح نفسها بوصفها فلسفة للعلوم، فإن الوضعية المنطقية قدمت العديد من الاسهامات في فهم البناء المنطقي للعالم، وكانت "وحدة العلوم" unified science هدفا معلنا في بيانها الذي أصدرته سنة ١٩٢٩، وكان ذلك ضمن محاولة للربط المنسجم بين مختلف الإنجازات التي يحققها العلماء

(1) Wolff, Robert Paul: Philosophy A Modern Encounter 1971, Englewood Cliffs, N.J. p 226.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأفراد في مجالاتهم المتباينة، وبذلك التأكيد على تقدم العلم القائم على الجهود الجماعية Collective efforts والحكم بموضوعية على ثمرة هذه الجهود[١]، إلا أن الحلقة لم تتمكن من التقدم على هذا المستوى للعديد من الأسباب التي يمكن أن تلخص فيما يلي:

١. التعارض الجوهري بين علماء الفيزياء حول تفسير النتائج التي وصلت لها أبحاث نيلز بور Niels Bohr (١٨٨٥ – ١٩٦٢) في الفيزياء الكمومية، وهو ما جرى توضيحه مسبقا، وأدى ذلك إلى وجود صعوبات تتعلق بأكثر العلوم استقرارا بعد الرياضيات والمنطق وهو علم الفيزياء. وعلى الرغم من أن معظم أعضاء الحلقة أتوا من خلفية علمية إلا أنهم تعاملوا مع العلم بوصفه منجزا تاما يمكنه أن يقدم جميع الحلول، ويفسر جميع الظواهر، ويبدو أن هذا مرتبط بالاكتشافات الثورية التي حدثت ووجود تحيز كبير لدى أعضاء الحلقة لمصلحة العلم وكأنه الحل لمعضلة المعرفة ككل، وهو سلوك لا يخرج عن التعاطي الوضعي التقليدي الذي أشرنا إلى رأي هابرماس **Jürgen Habermas** (١٩٢٩ - ....) حيالة في موقع سابق.

٢. لم تعن الحلقة بدراسة تاريخ العلوم، وذلك يفسر الخلاف بين أعضائها بعد أن أصدر كارل بوبر كتابه "منطق الكشف العلمي" سنة ١٩٣٤، وفي مذكراته التي حملت عنوان Unended Quest وفي فصل بعنوان "من قتل الوضعية المنطقية؟" يشير بوبر إلى محاولات لاعتبار معيار التكذيب falsification جزءا من معيارهم للتحقق verification،[٢] ويرى بوبر أن الحلقة لم تدرك وجهة نظر أساسية في الخلاف وهي العناية بتاريخ العلوم، حيث أن بوبر يضع في اعتباره أهمية تطور العلم عبر النظريات والأفكار بجانب التجارب،وهو ما يمكن أن يتحقق بمعيار التكذيب وليس معيار التحقق، وليثبت ذلك يتتبع تطور الهندسة اللا إقليدية التي لم يكن ممكنا دون النقد للهندسة الإقليدية، وكذلك التحول الكبير في

---

[١] يمكن الرجوع للنص الكامل للبيان الذي حمل عنوان The Scientific Conception of the World على الموقع الإلكتروني http://www.evidencebasedcryonics.org/the-scientific-conception-of-the-world-the-vienna-circle/ ، كما قامت د. وداد الحاج حسن بترجمة النص في كتابها "ردولوف كارناب .. نهاية الوضعية المنطقية".

[2] Popper, Karl: Unended Quest 1992, Routledge – London p 87 – 90.

وتجدر الإشارة إلى أن كارناب قام بتطوير مبدأ التحقق Verification لمبدأ التثبت Confirmation بناء على ما قدمه بوبر في دراسته لمبدأ التكذيب falsification للمزيد Wagner, Pierre: Explanation, Prediction, and Confirmation, Springer 2011. والدراسة المشار لها لاحقا Et tu mi fili, Thomas?

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفيزياء بين القرنين التاسع عشر والعشرين، وخاصة التحول في مفهوم الزمن والفضاء، ولكن ذلك لا يضع الفيزياء السابقة في المتحف، فكثير من قوانينها ممكن تجريبيا، وبالتالي فإن النظرية أو الفكرة تبقى على قدر من الصلاحية إلى أن تفند ويثبت عدم صحتها، ويولي بوبر أهمية كبرى للفرضيات في بناء المعرفة والبحث العلمي، بحيث لا يبدو مجالا منضبطا تماما كما تسعى لأن تحدده الوضعية المنطقية، وليس مستغربا أن يكون الاستشهاد الأول في كتاب "منطق البحث العلمي" مقولة نوفاليس Novalis (١٧٧٢ – ١٨٠١) ((الفرضيات شبكات من يرمي بها يجني ثمارها))[١].

يرى بوبر أن الوضعية المنطقية أدت دورا مهما في قراءة مشكلات العالم، ولكنه ليس الدور الوحيد كما أنه قاصر عن تفسير العالم بأكمله، ويشير إلى إهمالهم فكرة نمو المعرفة، ونمو العلم، وتكتسب هذه الملحوظة أهمية كبيرة في هذه الدراسة، حيث يتعامل المناطقة الوضعيون مع العلم في لحظة ما، كمنجز تام كما أشرنا، وليس كسيرورة، ولذلك فإن إضافتهم لنظرية المعرفة تبقى دون المتوقع، ويصف بوبر ذلك قائلا:

"أن المشكل المركزي في نظرية المعرفة (الإبستمولوجيا) كان ولا يزال نمو المعرفة. ولكي نستطيع دراسة هذا النمو لا بد من دراسة نمو العلم.

ولا أعتقد ان من الممكن استبدال دراسة نمو العلم بدراسة الاستعمال اللغوي أو النظمات اللغوية"[٢].

إلا أن بوبر لا يحذف التحليل المنطقي أو اللغوي من الأدوات التي يمكن أن يحوزها الفيلسوف، ولكن ضمن رؤية واقعية لدورها وأهميتها.

"لا أنكر أنه يمكن للطريقة المسماة بالتحليل المنطقي لعب دورها في هذه السيرورة الجامعة بين توضيح المشكل وتفحصه الناقد، ولا أدعي أبدا أن طرق

---

[١] تلخيص لجملة من الأفكار التي وردت في مقدمة بوبر لكتابه "منطق الكشف العلمي".
بوبر، كارل: منطق الكشف العلمي ترجمة: محمد البغدادي ٢٠٠٧، المنظمة العربية للترجمة –بيروت.
المفارقة أن كتاب بوبر الذي وجه أول نقد واسع للوضعية المنطقية جرت طباعته بدعم من كارناب الذي يوصف بوبر في كتابه بحث غير نهائي موقفه من الكتاب بالايجابي، وشاركه في ذلك هامبل، بينما اتخذ ريشنباخ ونيورات موقفا عدائيا تجاهه.
[٢] بوبر، كارل: منطق الكشف العلمي، ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحليل المنطقي أو التحليل اللغوي عديمة الجدوى بالضرورة. وكل ما أقوله في طرحي إنها ليست الطرق الوحيدة، التي يمكن للفيلسوف استعمالها وإنها أبعد ما تكون عن ذلك؛ إنها ليست سمة الفلسفة في أي حال من الأحوال: إنها لا تطبع الفلسفة أكثر مما تطبع أي بحث علمي أو أي بحث عقلاني آخر"[١].

ويبدو أن بوبر لم يكن يصنف نفسه مناهضا للوضعية المنطقية في الثلاثينيات، كما جرى في فترة لاحقة، ويرى أن ما قدمته الوضعية المنطقية يضاف إلى تيار العقلانية وليس تيارا فلسفيا، ويرى أن الوضعية المنطقية حوصرت في التحليل اللغوي كأبرز معالم فلسفة حلقة فيينا، وربما يراها الأكثر صلاحية "كنت ولا أزال أؤمن بأهمية المحللين اللغويين لا كمعارضين فحسب وإنما كحلفاء كذلك لأنهم، على ما يبدو، الفلاسفة الوحيدون تقريبا الذين يحافظون على بعض التقاليد العقلانية في الفلسفة"[٢].

وكان لتوماس كون Thomas Kuhn (١٩٢٢ – ١٩٩٦) دور مهم في العمل على وأد الطموح الذي حملته الوضعية المنطقية فيما يخص وحدة العلوم[٣]، ولعل مفهوم النموذج الإرشادي paradigm الذي يطرحه كون لتفسير حركة تطور العلم يبين أن وحدة واتساق العلوم وتضافرها حول مبادئ وقوانين معينة، مسألة غير ممكنة، فالنموذج الإرشادي يتغير من حقبة زمنية إلى أخرى، وينتج عن ذلك تغيرات مهمة في بعض القوانين العلمية السائدة، ويتحمس كون للخطأ كأحد طرق تعديل النموذج الإرشادي من مرحلة لأخرى، ويضرب مثلا باكتشافات علمية أعتقد أصحابها أنهم وقعوا في خطأ مخبري وتحديدا اكتشاف لافوازييه Lavoisier (١٧٤٣ – ١٧٩٤) للأكسجين بينما كان يجري تجاربه على أكسيد الزئبق الأحمر واكتشاف رونتجن Röntgen (١٨٤٥ – ١٩٢٣) للأشعة السينية، وكيف أسفرت النتائج غير المتوقعة والبعيدة عن النموذج الإرشادي القائم عن الكشفين المهمين.

---

[١] المرجع السابق، ص ٣٦.
[٢] المرجع السابق، ص ٣٥.
[٣] في دراسة حملت عنوان "حتى أنت يا توماس" Et tu mi fili, Thomas?! يعتبر ماتياس بريندل Brendel, Mátyás كارناب بمنزلة الأب الروحي لبوبر، بينما يرى أن توماس كون هو الذي وجه الضربة القاضية للوضعية المنطقية من خلال كتابه "بنية الثورات العلمية". هذه الدراسة منشورة في الأرشيف الفلسفي لجامعة بتسبرغ الأمريكية University of Pittsburgh على الموقع الإلكتروني **http://philsci-/archive.pitt.edu/2661 .**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"في كلتا الحالتين كان إدراك الشذوذ – أي إدراك ظاهرة لم يكن الباحث مهيأ لها بمقتضى النموذج الإرشادي المعمول به – له دور هام في تمهيد الطريق لإدراك جديد. ولكن، وفي كلتا الحالتين أيضا، كان الظن بأن شيئا ما وقع عن طريق الخطأ هو فقط المقدمة على طريق الاكتشاف"[١].

إن كون يولي أهمية كبيرة لسيطرة النموذج الإرشادي على الحركة العلمية في أي عصر، وفي كتابه "بنية الثورات العلمية" ينهال بالأمثلة التي تعزز وجهة نظره، وفي ذلك يقلل من أهمية التجربة والمشاهدة في إحداث التحولات العلمية، حيث عادة ما يقوم العلماء بمشروعاتهم بناء على افتراضات مسبقة وضمن تصورات معينة.

"نلاحظ أن أحدا ممن ارتابوا في صواب أعمال نيوتن لم يفعل ذلك بسبب قصور الملاءمة بين عمله وبين التجربة والمشاهدة"[٢].

ويتناول كون بجانب التجربة، مفهوم الصياغة الذهنية الأساسية في الكشف العلمي وتقدم العلم، فبينما التجربة هي الواقع فإن الصياغة هي الطرق المستخدمة لهذا الواقع[٣]، ولكنها ليست بالضرورة ضمن إطار التحليل المنطقي الذي اعتمدته الوضعية المنطقية، ولكنه يحذر من وجود التصنيفات الذهنية المسبقة لعرقلة الوصول إلى نتائج تختلف عن النموذج الإرشادي السائد في زمن ما، ويمكن أن نعتبر أن التصنيف المنطقي وفهم البناء المنطقي للعالم ضمن ما يصفه كون بالتصنيفات الذهنية، فالأدوات التصويبية التي يعتمد عليها العلماء والباحثون، برأيي، ليست دائما ايجابية أو منتجة في تأثيرها على المشروع العلمي، وتحول أحيانا دون النظر خارج النموذج الإرشادي وبالتالي التقدم بالعلم بشكل عام.

ويبدو أن الوضعية المنطقية لم تفد من أعمال بعض الشخصيات المؤثرة في تكوين توجهاتها مثل هنري بوانكاريه الذي يناقش أهمية التطور التاريخي للعلوم في كتابه "العلم والفرضية"، إذ يؤكد أن التجربة هي المصدر الوحيد للحقيقة واليقين، ولكنه يتشكك في الميل للتعميم ويحذر منه، حيث أن البحث العلمي أصبح مع الوقت أكثر ميلا للتحفظ في تعميماته، وعليه فإن الوضعية المنطقية التي تعاملت مع

---

[١] كون، توماس: بنية الثورات العلمية ترجمة: شوقي جلال ١٩٩٢، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ص ٩٣.
[٢] المرجع السابق، ص ٦٢.
[٣] المرجع السابق، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشريحة العلمية في الفيزياء كان يجب أن تضع ذلك في اعتبارها دائما أن التحليل المنطقي ليس المنجز الكامل الذي يستطيع أن يتعامل مع قضايا العلم ويصوغه للوصول إلى الحقيقة.

"لقد كان كل قرن يهزأ من القرن الذي سبقه متهماً إياه بالتسرع في التعميم بكثير من السذاجة. وكان ديكارت (Descartes) يشفق على الأيونيين (Ioniens) فإذا به يصبح بدوره مدعاة للابتسام، ولا ريب أن أطفالنا سيضحكون منا يوماً ما"[١].

إلا أن واقع الوضعية المنطقية لم يؤجل المواقف النقدية القوية للقرن التالي، وأتت هذه القضية مزامنة تقريبا لأعمالها، وثمة بعض المصطلحات التي تؤدي إلى إحراج حلقة فيينا في عملية انتاج المعرفة، أو في نظريتها للمعرفة، والتي تواضعت بها إلى مجرد نظرية في العلم، فما يعرف بالتجارب النظرية/ الذهنية أخذت تشغل علماء الفيزياء في القرن العشرين، وكان لها أثر كبير في تطور النظرية النسبية وفيزياء الكم، وهذه التجارب لا تندرج تحت مفهوم العلم الوضعي أو التجريبي، وبالتأكيد فإن حساسيتها للإدراك المنطقي مسألة متباينة[٢]، كما أن بعضا من القضايا التجريبية في المقابل ما زالت منافية للمنطق، وبالتأكيد فإن الشرح البسيط لتجربة شقي يونغ الأساسية في فهم ميكانيكا الكم والتي تستخدم في اثبات الطبيعة الموجية للإلكترونات يبدي إشكالا منطقيا يتعارض مع نفس معطيات التجربة لو أنها تمت على أجسام أخرى مثل الكرات الحديدية الصغيرة مثلا.

---

[١] بوانكاريه، هنري: العلم والفرضية ت: حمادي بن جاء الله ٢٠٠٢، المنظمة العربية للترجمة – بيروت، ص ٢١٧.

[٢] التجارب الذهنية من الموضوعات المعقدة في مجال الفيزياء النظرية، وقد شرحها كارل بوبر في "منطق البحث العلمي" في فصل عنوانه "درجات قابلية الفحص" ،وكذلك فريد آلان وولف في كتابه "مع القفزة الكمومية"، الفصل الحادي عشر، والكتاب صادر عن سلسلة الثقافة المميزة، المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا دمشق سنة ١٩٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

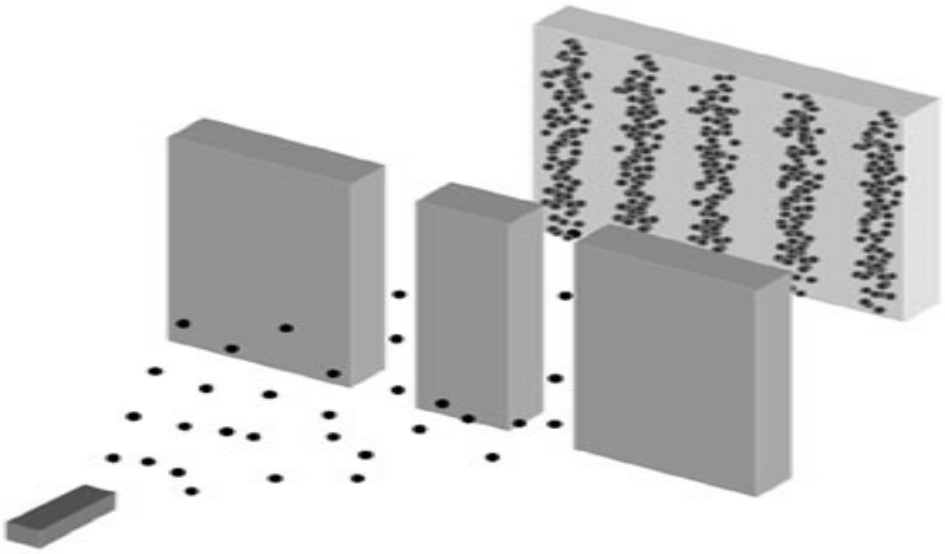

يوضح الشكل السابق تجربة شقي يونغ فبينما يفترض أن تسلك الإلكترونات المنطلقة مسارا مستقيما بعد عبورها الشقين، كما لو حدث باستخدام أي جسيمات معدنية أخرى مثلا، فإنها تتوزع على اللوح الذي يسجل أماكن وصولها، وبالتالي تثبت الطبيعة الموجية لجسيمات الذرة.

وعلى الرغم من أن الوضعية المنطقية تعتمد على "الفيزياء الكمومية" في تبني المعرفة الاحتمالية والاستقرائية، إلا أن ذلك يوقعها في تناقض جوهري مع تصور البناء المنطقي للعالم، طالما أن المنطق هو بنفسه علم يتطور مع التجربة وتقدم العلوم الطبيعية، وبالتالي تصبح مسيرة العلم جدلا – عميقا وعقيما - قائما بين الملاحظة والتفسير بصورة دائمة، ومع الميل إلى الحذر في التعميم كما يبين بوانكاريه، فإن ذلك سيؤدي إلى تورط العلم في نفس مأزق الميتافيزيقيا، وسيصبح دور الفلسفة هو مطاردة التقدم المطرد للعلوم دون طائل تقريبا، خاصة في بعض المسائل الدقيقة للغاية، كما أن العلم الذي انفتح مع فيزياء القرن العشرين يحمل طموحات مشروعة نظريا مثل الانتقال في الزمن والسفر عبر المكان بسرعة متناهية، وهي طموحات لا تقل في اتساعها وعدم تحديدها وحتى في الخلاف حولها عن الأسئلة الكبرى للميتافيزيقيا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التعميم الذي تطمح إليه الوضعية المنطقية هو أصل العلم وأساس المعرفة[١] ويتداخل مفهوم التعميم لدى المناطقة الوضعيين مع مبدأ الاقتصاد في المعرفة لماخ، حيث تستبعد من التعميم ما لا يرتبط بالموضوع، ويعرف ريشنباخ ارتباط أي من العوامل بالتعميم إذا كان ذكر ذلك العامل ضروريا ليكون التعميم صحيحا[٢]، وبالتالي فإن المعرفة هي في القوانين العلمية الناجزة التي يمكن أن تحتوي التعميمات الكافية والمترابطة، وأي موضوع ليس في وسع العلم تفسيره في زمن معين، فإنه يعد ميتافيزيقيا بالضرورة، وحتى وإن فشل العلم في تفسير الظاهرة أو لم تكتمل القرائن الكافية لاثباتها فهي تستبعد من المعرفة، ونعيد التأكيد على مسألة تقلص نظرية المعرفة لتصبح نظرية للعلم في الوضعية المنطقية، وفي أحد الأمثلة على الموضوعات التي تستبعد من مجال المعرفة هي عجز العلوم عن تفسير بعض أسباب الأمراض السرطانية، فأين يمكن تصنيف فشل العلوم في تحديد أسباب هذه الأمراض، هل تصنف لعامل ميتافيزيقي؟ إن ريشنباخ يستند على الفيزياء بصورة كثيفة، فهو يرى أنها تؤثر عميقا في نظرية المعرفة السائدة في أي عصر[٣]، ولكن ذلك ليس بالنسبة لبقية العلوم التي لم تصل في تطورها للدرجة نفسها من النضج التي وصلتها الفيزياء، كما أن ظواهرها من التعقيد والتداخل بحيث تقف عائقا أمام التعميم على طريقة ريشنباخ، وحتى المعرفة الاحتمالية التي ينادي بها ريشنباخ فإنها تبقى عاجزة عن أداء دور المنجز المعرفي العلمي في خدمة الإنسان، وهذه المعرفة الاحتمالية كما يوجزها فؤاد زكريا مؤداها أن "قضايانا المعرفية كلها "ترجيحات" فيذهب – أي ريشنباخ – إلى حد تطبيق هذا الرأي على مشكلة وجود العالم الفيزيائي، ويؤكد أن هذا الوجود أمر مرجح فحسب، وأنه ناتج عن استقراء، وأن احتمال تحول الواقع إلى حلم قائم على الدوام"[٤]، ويبدو أن ذلك يمثل قمة الشكوكية واللا أدرية التي وصلت لها الوضعية المنطقية أو أي فلسفة أخرى، ولما كان العلم يمثل مسيرة الإنسان للوصول إلى اليقين فإن البقاء في هذه الزاوية، لا يمكن من التغلب على مشكلة التباين في النظريات العلمية الذي ينتج عن تطورها، ويؤدي إلى الوقوع في المأزق الذي أشار له بوانكاريه.

---

[١] ريشنباخ، هانز: نشأة الفلسفة العلمية ترجمة فؤاد زكريا ١٩٦٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ص ١٨.
[٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٣] المرجع السابق، ص ١٤٣.
[٤] المرجع السابق، ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. واجهت الوضعية المنطقية مجموعة من الإشكاليات المتعلقة بالعلوم الإنسانية ومناهجها، فالمطالبة بأن تكون الفلسفة علمية كان يحتم على المناطقة الوضعيين أن يعنوا بتطوير منهجيات تصلح للتعامل مع العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكان أوتو نيوراث الوحيد تقريبا من مؤسسي حلقة فيينا المختص بعمق في العلوم الإنسانية، وكان كتابه الناجز الوحيد المنشور في حياته يحمل عنوان "علم الاجتماع التجريبي"، وعلى الرغم من عدائه الشديد للميتافيزيقيا ودعوته الصريحة لوحدة العلم[١]، والذي تشتمل بالضرورة على العلوم الإنسانية بجانب العلوم الطبيعية فإن نيوراث لم يترك ما يمكنه أن يعتبر إطارا عاما لوحدة العلوم، وإن عمل على توضيح التقارب النوعي بين العلوم الطبيعية والإنسانية. ويوضح آير أن نيوراث انتهت به المحاولة لتبني نظرية الاتساق في الصدق اضطراريا ليوفق بين العلوم الطبيعية والاجتماعية في مناهجها، ومع أن آير يطرح ذلك في سياق دهشته من الهبوط بوحدة العلوم إلى مجرد الاتساق كنظرية للصدق، فإن رأيي، أن مجمل وجهة نظر الوضعية المنطقية هي اتساقية تجاه حقائق العالم، وعلى الرغم من أن دعاة الوضعية المنطقية يبحثون في توصيف النظم والأنساق الطبيعية والعلمية، فإنهم لا يبحثون عما وراءها من أسباب نهائية على اعتبارها موضوعا ميتافيزيقيا، وهم بذلك يتجاوزون أي رؤية أخرى للحقيقة ويحصرونها في العلاقات بين الظواهر بحيث تشكل هذه العلاقات القوانين التي يعتبرونها موضوعا لعنايتهم واهتمامهم، ويعبر ذلك عن رؤية تندرج تحت نظرية الاتساق في الحقيقة.

في مجال العلوم الإنسانية حاولت الوضعية المنطقية أن تؤسس منهجيات خاصة في دراسة الظواهر الإنسانية، وتقوم على مجموعة من الاعتبارات وهي بحسب عبد الباسط عبد المعطي (١٩٤٣ - ....):

١- "التكميم: ويقصد به التعبير الكمي عن إبعاد الظاهرات الاجتماعية متغيراتها وعملياتها ومصاحباتها وذلك باستخدام العد والقياس واستخدام الأساليب الإحصائية والنماذج الرياضية.

---

[١] آير، ألفريد جولس: الفلسفة في القرن العشرين ترجمة: بهاء درويش ٢٠٠٦، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية، ص ٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- السلوكية: و يقصد بها الإهتمام بدراسة مدخلات ومخرجات السلوك الواضحة والظاهرة والقابلة للملاحظة فبعض الأبعاد والعمليات الأخرى تستعصي على الدراسة كاللاشعور الذي لا يمكن إخضاعه للملاحظة على سبيل المثال.
٣- الحسية: ويقصد بها التركيز بل والسعي نحو المعرفة المعتمدة على الإدراك الحسي. فحقائق الأشياء تتوقف على إمكانية حدوثها جزئيا أو كليا، من خلال عدد من الانطباعات الحسية"[١].

ويوضح عبد المعطي أن الوضعية المنطقية تعنى بوصف الواقع المعطى والمحسوس، وصفا كميا، يبحث في سلوك الإنسان دون أن يولي اهتماما واضحا لتفسيره، وفهم بواعثه المجتمعية الناجمة عن ظروف البناء الاجتماعي، بحيث تقضي بقبول العبارات الوصفية البسيطة التي تعبر عما هو قائم باعتبارها حقائق[٢]، وإذ كنا سبق وأشرنا إلى مفهوم الوعي، بوصفه أحد المفاهيم التي لم تقدم الوضعية المنطقية رؤية مكتملة له أو لم تضعه في اعتبارها بالصورة اللازمة، فإن ذلك ينطبق على العلوم الاجتماعية بصورة كبيرة، ونطرح المثل التالي، ففكرة بافلوف **Ivan Pavlov (١٨٤٩ – ١٩٣٦)** حول الاستجابة المشروطة قامت على دراسته لسلوك الكلاب وهي فكرة انتقلت إلى دراسة السلوك الإنساني عن طريق التعميم وكانت ناجحة في تفسير العديد من الظواهر، إلا أن ذلك لا ينطبق على الإنسان تماما، فآلية الاستجابة لدى الإنسان تختلف بين وجوده في حالته العادية، وبين وجوده في حالة الثورة والغضب والتمرد، وهذا على مستوى الإنسان الفرد والمجتمع ككل، فالمجتمع في حالة الثورة يتوقف عن الاستجابة السريعة لإغراءات السلطة المادية التي كان يستجيب لها ببساطة في الظروف العادية، والعالم النفسي كارل روجرز Carl Rogers (١٩٠٢ – ١٩٨٧) يحمل بشدة على الوضعية المنطقية من ناحية محاولتها تطبيق منهجيات مشتقة من العلوم الطبيعة على العلوم الإنسانية، قائلا:

"لقد سعى علم النفس، في محاولة منه للمغالاة في منهجه العلمي، إلى اقتفاء أثر فيزياء نيوتن، وقد أعرب أوبنهايمر (Oppenheimer) عن أفكاره بقوة حول هذا الموضوع قائلا: إن أسوأ ما يمكن تصوره من حالات سوء الفهم هو أن يتأثر علم

---

[١] عبد المعطي، عبد الباسط: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ١٩٨١، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ص ١٢٩ – ١٣٠.
[٢] المرجع السابق، ص ١٣٠ – ١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفس تأثرا يجعله يصوغ نفسه على فيزياء لم يعد لها الآن وجود، فيزياء أعفى عليها الزمن. وأعتقد أن هناك إجماعا في الرأي على أن هذا هو الطريق الذي قادتنا إليه السلوكية الوضعية المنطقية"[١].

وعلى الرغم من أن كارل بوبر يحاول أن يطرح مسألة تطبيق الجانب التجريبي في العلوم الإنسانية، إلا أنه أيضا يطرح واحدة من أهم الإشكاليات التي تعنى بذلك متمثلة في الموقف النقدي الذي يتخذه الباحث في هذا المجال[٢]، والباحث في مجال العلوم الطبيعية يجد نفسه حيال مجموعة من الظواهر والمشاهدات التي يتعامل معها من موقف سلبي يتمثل في عدم قدرته على التدخل للتغيير أو التحكم في هذه الظواهر، وتكون غايته هي الفهم والاستيعاب ليتمكن من الوصول إلى طرق للتعامل أو تخفيف أثر أو زيادة الإفادة من هذه الظواهر، وتكون تجربته مصممة لدراسة سلوك الظواهر وعلاقاتها ببعضها البعض، أما الباحث في مجال العلوم الإنسانية فإنه يتعامل مع الظاهرة الاجتماعية والإنسانية ليقوم بتعديلها والتدخل بفاعلية لتغيير قواعدها، ويركز بوبر على علم الاقتصاد الذي يعني بدراسة الموارد والمواقف الإنسانية من استغلالها، ويسوق للتدليل على ذلك مقولة عالم الاقتصاد فون هايك Von Hayek (١٨٩٩ – ١٩٩٢) "إن التحليل الاقتصادي لم يكن قط نتيجة لفضول عقلي يتساءل من نقطة خارجية عن السبب في حدوث الظواهر الاجتماعية، وإنما كان نتيجة لحافز قوي يدعونا إلى إعادة بناء هذا العالم الذي يثير في نفوسنا شعورا عميقا بعدم الرضا"[٣]، وبذلك يتبدى الطموح لأن تكون دراسة العلوم الإنسانية فعلا ايجابيا يسعى للتغيير وليس مجرد تعديل المسار أو السيطرة عليه، كما يتبدى ذلك في علم الاقتصاد، وعلى الرغم من أن هذا العلم يتيح تطبيقا واسعا لإمكانيات الإحصاء والاحتمالات إلا أنه بقي واحدا من العلوم المفتوحة على التحيزات المختلفة وعدم الاتفاق بين الدارسين والباحثين على مبادئه أو تفسير ظواهره، ويمكن أن ينسحب ذلك على بقية العلوم الإنسانية خاصة التي تبدي قابلية أقل للتعامل مع الجوانب الرياضية والاحصائية.

---

[١] إغروس، روبرت وسنتانسيو، جورج: العلم في منظوره الجديد ترجمة: كمال خلايلي ١٩٨٩، سلسلة عالم المعرفة: الكويت، ص ٨٠ – ٨١.

[٢] بوبر، كارل: عقم المذهب التاريخي.. دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية ترجمة عبد الحميد صبرة ١٩٥٩، منشأة المعارف الإسكندرية، ص ١١٢.

[٣] المرجع السابق، ص ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هامش علاقة الوضعية المنطقية بالعلوم الإنسانية يمكن تفهم جوانب من رؤيتها لدور الفلسفة ووظيفتها، فكما يوضح لوسيان غولدمان **Lucien Goldmann (١٩١٣ – ١٩٧٠)** فإن الوضعيين يرون أن أي مجال معرفي لا يمكن أن يصل مرتبة العلم الوضعي إلا إذا تحرر من أي تدخل فلسفي، ولكن الفلسفة ما زالت تحمل واقعيا بعض الحقائق حول طبيعة الإنسان[١]، فالتراث الفلسفي في النهاية، والتقاليد التي حملت رؤاها الإشكاليات المتعلقة بالمجتمع والسياسة والتاريخ وغيرها مما أصبح يصنف علوما إنسانية مستقلة لا يمكن أن تخلي مكانها للمنهجيات الرياضية والاحصائية، فمن ناحية تمثل هذه التقاليد خلاصة عمليات وعي متقدمة قامت بها عقليات موسوعية تستطيع أن تنتقل بين ملاحظاتها في مجالات فروع المعرفة المختلفة وأن تحلل وتقارن بحرية وتتوصل إلى نتائج وتصورات، ولم يكن ذلك مجرد لغو أو مغامرة للتخيل، فإذا كانت العديد من أفكار أرسطو التي قدمت في الطبيعيات تعد منتهية الصلاحية اليوم ومجرد تصورات ساذجة قائمة على توهمات وتخمينات، فإن كثيرا من آراء أفلاطون في محاورة الجمهورية ما زالت تطرح نفسها حتى على الفكر السياسي والاجتماعي الحديث، والمفارقة أن التطورات في علوم البيولوجيا والوراثة يمكن أن تعيد طرح بعض أفكار الجمهورية، فأفلاطون تحدث أبناء طبقة الحراس وتربيتهم من قبل الجمهورية وليس من طرف آبائهم الطبيعيين، وهذا الأمر يمكن أن يحدث عن طريق الاستنساخ ووجود بشر فائقي الذكاء لأداء أدوار معينة في المجتمع، وهو أحد مواضيع علم المستقبليات.

على الرغم من كون نيوراث متأثرا بالماركسية فإنه لم يفد الوضعية المنطقية من تطبيق الأدوات الماركسية في قراءة الظواهر الاجتماعية والتي تأتي عادة منسجمة مع رؤية للعالم وتطوره تحقق الحد الأدنى من التجانس بين الأدوات المستخدمة في قراءة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، ويبدو أن معيار العلموية في المجالات الإنسانية كان يميل لمصلحة الماركسيين الذين اعتبروا منافسين تقليديين للوضعية المنطقية.

الموقف من الميتافيزيقيا

[١] غولدمان، لوسيان: العلوم الإنسانية والفلسفة ت: يوسف الأنطكي ١٩٩٦، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، ص ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تنكر الوضعية المنطقية الميتافيزيقيا، فهي لا تنبري لتفنيد قضاياها جملة أو تفصيلا، ولكنها ترفض من الأساس أن تناقشها، هي في النهاية ليست مجموعة من الأخبار القابلة للتحقق من صحتها. إنها مجرد عبارات بلا معنى، ويرى برتراند راسل أن مناهضة الميتافيزيقيا هي القاسم الأساسي بين المناطقة الوضعيين ككل[١].

"لقد ساد الحركة الوضعية كلها احتقار للميتافيزيقيا، واحترام للعلم، أما فيما عدا ذلك فكانت هناك فوارق ملحوظة في مسائل المنطق والمنهج العلمي"[٢].

ولما كانت الوضعية المنطقية ترفض الميتافيزيقيا على أساس أنها لغو فارغ أو ثرثرة لا طائل من ورائها، فإن سلاحها في مواجهة ذلك كان مبدأ التحقق أو معيار الصدق، ويؤكد راسل أن "تاريخ الحركة يدور بالفعل حول المناقشة التي جرت بشأن أهمية هذا المبدأ ومكانته"[٣]. وذلك يجعل موقف الوضعية المنطقية من الميتافيزيقيا مرتبطا بمبدأ التحقق ووجهة نظرها في المعنى، ويوضح بيان الوضعية المنطقية ذلك بطرحه لمبدأ التحقق سنة ١٩٢٩.

"إن منهج التحليل المنطقي الذي نتبعه يتمايز عن المناهج التجريبية والوضعية السابقة التي كانت بيولوجية – سيكولوجية في توجهها. فإذا أكد أحدهم وجود الإله، أو أن العقل غير الواعي هو المبدأ الأساسي للوجود، أو أن الاستنجاز Entelechy هو القوة التي تولد الحياة في الكائنات، فإننا لا نقول له، إن ما ذكرته خطأ، ولكننا نسأله، ما الذي تعنيه بالعبارات التي ذكرتها؟ ومن هنا يظهر أن تحديدا حاسما يفصل بين نوعين من العبارات، الأول ينتمي للعبارات التي تخص العلوم التجريبية، ويمكن تحديد معانيها بواسطة التحليل المنطقي، أو بصورة أكثر دقة، بنسبتها إلى العبارات الأكثر بساطة المعطاة من واقع التجربة، النوع الآخر من العبارات، ومنها العبارات المذكورة سابقا فإنها تطرح نفسها كعبارات خالية من المعنى إذا ما عولجت ضمن

---

[١] في مقدمته للجزء الثاني من كتاب حكمة الغرب يبين فؤاد زكريا أن راسل على الرغم من أنه أحد الممهدين للوضعية المنطقية إلا أنه امتنع عن مسايرتها في موقفها من الميتافيزيقا، ورفض استبعاد قضاياها على أساس أنها فارغة من المعنى، واكتفى بأن توصف العبارات الرياضية والتجريبية بالاحتواء على المعنى، وأكد راسل في المقابل أن الميتافيزيقا في بعض الأحيان أحد الطرق الموصلة للعلم، وأن النظرية العلمية في سعيها إلى تفسير كلي للظواهر تقرب من الميتافيزيقا.

[٢] راسل، برتراند: حكمة الغرب ترجمة فؤاد زكريا ١٩٨٣، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ص ٢٢٤.

[٣] المرجع السابق، ص ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياق الذي يقصده الميتافيزيقيون. ويمكن بالطبع أن يعاد تأويلها كعبارات تجريبية ولكنها ستفقد بعد ذلك المحتوى الذي يجعلها موضوعات خاصة بالميتافيزيقيين"[١].

بناء على ما سبق، فإنه يمكن للوضعية المنطقية أن تتعاطى مع العبارات الميتافيزيقية ضمن شروط إعادة صياغتها بالصورة الممكنة في العبارات التجريبية، ولكن ذلك ليس العائق الوحيد أمام التعاطي مع الميتافيزيقيا، وكيف تصل الوضعية المنطقية إلى رفض الفلسفة الميتافيزيقية كلية؟

من ناحية يوضح بيان الوضعية المنطقية أن رفض الميتافيزيقيا يتعلق بالعديد من وجهات النظر السيكولوجية والاجتماعية والمنطقية، ويوضح أن الأبحاث في مجال السيكولوجيا ما زالت في مرحلة مبكرة، وكذلك الوضع في الأبحاث الاجتماعية، ويشيرون إلى مفهوم البنى الفوقية الأيديولوجية وهو المجال المفتوح للمزيد من الدراسات المستقبلية[٢].

بجانب الأيديولوجيا التي تحتفظ للرؤى الميتافيزيقية بمكانتها في المجتمع، فإن الوضعية المنطقية تطرح الأصول المنطقية للضلال الميتافيزيقي مستشهدة بجهود راسل وفتجنشتين في هذا المجال، وهو ما يتعلق باللغة المستخدمة في الميتافيزيقيا.

"في النظرية الميتافيزيقية، وفي أغلب الأسئلة التي تطرحها توجد مغالطتان منطقيتان أساسيتان: التعويل الزائد على اللغة التقليدية والتشويش في النتائج المنطقية للتفكير، فاللغة العادية تستخدم إلى حد ما نفس أجزاء الكلام، الاسم (تفاحة)، وكذلك الوصف (قسوة)، العلاقة (صداقة) والعملية (النوم)، إلا أن التضليل ينتج في مفاهيم مثل الأقنوم Hypostasis و التجوهر substantialization ويمكن احصاء الكثير من المفاهيم التي تقود إلى التضليل اللغوي التي تؤثر بصورة سيئة على لغة الفلاسفة"[٣].

---

[١] يمكن الرجوع للنص الكامل للبيان الذي حمل عنوان The Scientific Conception of the World على الموقع الإلكتروني http://www.evidencebasedcryonics.org/the-scientific-conception-of-the-world-the-vienna-circle/.

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنها فلسفة خالية من الميتافيزيقيا، وذلك يعيد تعريف الفلسفة نفسها، فالفلسفة تصبح ذات أدوار جديدة بالنسبة للوضعية المنطقية، ويمكن تعريفها من حيث المبدأ بربطها بهذه الأدوار:

١. ضبط العلوم ودراسة مناهجها.
٢. تحليل اللغة المستخدمة في العلوم.

إلا أن بعض الفلاسفة التحليليين يرون دورا أضافيا للفلسفة، فجورج مور يرى أن واجب الفلسفة أن تقوم بتحليل المفاهيم والتصورات التي تشكل موضوعات ألفاظ وعبارات الفلاسفة التأمليين، "وذلك عن طريق فكه إلى أجزائه، والحصول على تصورات أخرى مختلفة عن التصور الأصلي لكنها تمثل تكافؤا منطقيا له"[١].

أتى تحليل اللغة العلمية لينتج نظاما متكاملا لتحليل اللغة، فلنقد الميتافيزيقيا توجب أولا الوقوف على المغالطات التي يحفل بها التراث الفلسفي، ويراها ريشنباخ بمثابة النواتج اللغوية[٢] التي أسفرت عنها مقدمات لغوية ليس أكثر، ويرى أيضا أن تحليل الخطأ يبدأ بتحليل اللغة[٣]، وعني كارناب طويلا بتحليل اللغة، لدرجة اعتبارها الأداة الأكثر أهمية في الفلسفة بما جعله يسعى إلى أن يضع نظاما للتحليل اللغوي على صورة "نحو منطقي"[٤]، وتطور لاحقا إلى دراسة المفاهيم الدلالية لتأسيس علم الدلالة الضروري لتطوير اللغة مستندا في ذلك إلى الرؤية التي قدمها تارسكي في مجال علم الدلالة.

يرتبط الموقف من الميتافيزيقيا بمعيار الصدق أو التحقق الذي أقرته الوضعية المنطقية، وهو المعيار الذي ارتبط بها بصلة وثيقة على الرغم من أن حلقة فيينا ليست هي أول مدرسة فلسفية طرحت هذا المعيار واعتمدته، والمعيار نفسه من المؤثرات البرغماتية وقد استخدمه تشارلز بيرس Charles Sanders Peirce

---

[١] نقلا عن: هويدي، يحيى: قصة الفلسفة الغربية ١٩٩٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة، ص ١٤٩.
[٢] ريشنباخ، هانز: نشأة الفلسفة العلمية ترجمة فؤاد زكريا ١٩٦٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ص ١٦.
[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٤] الحاج حسن، وداد: رودلوف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية ٢٠٠١، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ص ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٨٣٩ – ١٩١٤)[١] للحكم على معنى الشيء المدرك[٢] وكان المصطلح نفسه يرجع إلى فيلسوف العلم بيرسي بريدجمان Percy Bridgman (١٨٨٢ – ١٩٦١)، إلا أن التأثير المباشر أتى من استخدام آينشتين للمعيار في نسيج النظرية النسبية وهو يوضح مفهوم التزامن، وذلك ضمن مذهبه الإجرائي[٣] ويوضح سيد نفادي (....-....) ما يمكن أن نصفه بالاستخدام المفرط لمعيار التحقق من قبل المناطقة الوضعيين مرتكنا على أداء فلاسفة حلقة فيينا في هذا السياق "بيد أن الوضعيين على خلاف اينشتين وبيرس استخدموا هذا المبدأ كسلاح رئيسي ضد كافة المذاهب والأفكار الميتافيزيقية، فلقد رغب الفلاسفة الوضعيون أن يخلصوا الفلسفة من الأبحاث العقيمة، والنزاعات التي لا نهاية لها، ويصرون على أن مثل هذه النزاعات، إنما هي نزاعات عقيمة، لأن جميع جوانب النزاع كانت تبحث عن إجابات نهائية لأسئلة زائفة، ومن ثم فإن الإجابات المقترحة، مهما كانت إنما هي إجابات زائفة، ويقال أنه لم يكن ثمة قضايا أصلية متضمنة في الاختلافات فيما عدا القضايا الزائفة. ذلك أن القضية الأصلية إنما تقول شيئا ما إما صادق أو كاذب فإذا كانت الكلمات لا يمكن اعتبارها صادقة أو كاذبة، حينئذ فهي لا تحمل أي قيمة معرفة"[٤].

---

[١] للبرغماتية دور مهم في تطور فلسفة التحليل بشكل عام وليس الوضعية المنطقية فحسب، وتصفها عطيات أبو السعود بأنها الحركة الانتقالية أو الحلقة المفقودة بين عصر الأيديولوجيا وعصر التحليل (الحصاد الفلسفي للقرن العشرين ص ١٣).

[٢] نفادي، السيد: معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والانسانية ١٩٩١، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، ص ٩.

[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[٤] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أن معيار الصدق، وكذلك الموقف من الميتافيزيقيا، على الطريقة الوضعية، لم يكن الموضوع المقبول علميا أيضا، فماكس بلانك Max Planck (١٨٥٨ – ١٩٤٧) يحذر مسبقا من ميل وضعية ماخ من الأساس لتقييد العمل العلمي ضمن قوالب مسبقة، وهو ما يتعلق كثيرا بموضوع التجارب النظرية الذي أشرنا له سابقا، وعبر بلانك عن ذلك صراحة في قوله: "الفيلسوف الذي يقيد نفسه، بصدد كل فكرة جديدة، بالسؤال: ترى إلى أي مدى هي ذات معنى واضح سلفا، هو فيلسوف يعيق تطور العلم. إذ ليس ما يهم أن تكون الفكرة واضحة مسبقا، بل المهم هو أن تؤدي تلك الفكرة إلى عمل مفيد. والوضعية التي تدحض كل فكرة متسامية هي رؤية ملتزمة بجانب وحيد مثلها مثل الميتافيزيقيا التي تشتهر بالتجربة الفردية"[١].

وتعبيرا عن الذهنية الوضعية أتى رد ماخ على بلانك يحمل نبرة من الازدراء كما يصفها ماكس بيروتي Max Perutz (١٩١٤ – ٢٠٠٢) "إذا كان الإيمان بواقعية الذرات أساسيا بالنسبة لك إلى هذه الدرجة، فلن يكون لي أنا بعد الآن أي تعامل مع التفكير الفيزيائي".

التطور التاريخي للعلم قال كلمته في مصلحة ماكس بلانك، فأصبح تركيب الذرة أحد المسائل المفروغ منها فيزيائيا وهو الموضوع الذي بدأ من خلال تصورات ميتافيزيقية مع ديمقريطس Democritus (٤٦٠ ق م – ٣٧٠ ق م) ويمكن أن تمتد جذوره الميتافيزيقية إلى رؤية أرسطو للأفلاك وأهمية الحركة الدائرية.

إن الوضعية المنطقية تعمل على تحديد دورها وتقليصه والاقتصاد بدور الفلسفة، وهي تضع نفسها في موقف لا أدري حيال مجموعة كبيرة من جوانب الحياة الإنسانية والأسئلة الإنسانية، فهي لا تحاول من الأساس أن تقدم إجابات عن الأسئلة الكبرى التي حملها الإنسان طوال قرون، وإنما تنزع مشروعيتها، ويمكن أن يعتبر هذا السبب الرئيس الذي أدى إلى تراجع الوضعية المنطقية أمام الفلسفات الماركسية[٢] والوجودية، خاصة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي أعادت طرح العديد من الأسئلة الأخلاقية والنزوع الميتافيزيقي الذي ولده الخوف من

---

[١] بيروتي، ماكس: ضرورة العلم.. دراسات في العلم والعلماء ترجمة: باسم معصراني ووائل أتاسي ١٩٩٩، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ص ١٥١.

[٢] تؤكد الماركسية أنه من الممكن معرفة العالم، وأن معارف الإنسان عن العالم صحيحة، وعقله قادر على النفاذ إلى الطبيعة الداخلية للأشياء، ومعرفة جوهرها (أفاناسييف، أسس المعارف الفلسفية ١٩٧٩ دار التقدم – موسكو)، وجدير بالذكر أن الرؤية المادية جذبت العالم الفيزيائي الكبير نيلز بور لتبنيها والانقلاب على الفكر الوضعي وكانت هي مصدر إلهامه في معركته الفكرية مع أينشتين حول القصدية أو الغائية في الكون التي أثيرت على خلفية الحوار حول ميكانيكا الكم، وكذلك كان ماكس بلانك وضعيا إلا أنه تحول إلى اتجاه آخر في الفلسفة لاحقا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحروب النووية ومن العودة إلى الاقتتال الواسع بين القوى العالمية بما يؤدي إلى عودة طاحونة القتل في العالم، وكانت هذه المخاوف تتجدد في الحرب الكورية والحرب الفيتنامية، المفارقة، أن هذه المرحلة أفرزت مدرسة جديدة في الفكر والأدب كانت مدرسة العبث، حيث لم يكن ممكنا لصوت يدعو إلى عقلانية مفرطة أن يزاحم الميول العامة تجاه العالم ومستقبله.

سبب آخر ذو طبيعة تتعلق بالرؤية الشمولية لحركة الفكر، وهو التنازع بين الماركسية في نسختها السوفييتية والليبرالية الغربية، حيث أن جانبا من ذلك التنازع كان يحمل في طياته أسئلة لا يمكن تفكيكها في عبارات بروتوكولية كالتي وضعها كارناب، كما أن السؤال لم يكن يتعلق على الإطلاق بصدق العبارات التي يتضمنها خطاب كلا الطرفين وإنما بقدرتها على (الإقناع)، وكان ذلك دافعا لتطور الماركسية والليبرالية وظهور أصوات نقدية في داخل كل فريق فكري، مثل ألتوسير وشترواس، فالنقد لا تنحصر وظيفته كما نراها في تبيان الصدق والكذب، فهذه وظيفة مناطة بالمنطق، وإنما وظيفته إثارة الجدل في داخل الخطاب وحوله بما يدفعه للتطور من الداخل.

على نقيض الوضعية المنطقية تطورت الفلسفة الوجودية باتخاذها من واقع الجدل الماركسي – الليبرالي موضوعا يستأهل تعليقاتها ومتابعتها، كما حدث مع سارتر، وبالتالي كانت أقرب إلى فلسفة الممارسة العملية، بينما تحولت الوضعية إلى بنية نظرية ذات طابع كهنوتي مغلق على نفسه، ولم تتمكن من التعاطي مع كثير من أسئلة عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، وتبدو استعادة الوضعية المنطقية خارج مجال بعض العلوم الطبيعية منطوية على قدر كبير من اللاجدوى، فحتى الأسئلة العلمية أصبحت تضم الجانب التقني الذي يحمل أسئلة من طراز جديد لا يمكن إدخالها في بنية الوضعية المنطقية أو قبولها ضمن مبادئها.

مسألة أخرى تتعلق بضرورة العداء للميتافيزيقيا وما مدى النفع الذي يمكن أن تجنيه الفلسفة إذا تجردت كلية من النزعة الميتافيزيقية، فكرين برينتون يؤكد قبوله بحكم الوضعية المنطقية باستحالة البرهنة على وجود بوسيدون إله البحر الإغريقي، ولكنه يدفع بالمقابل برؤية المهندس وعالم الاقتصادي الإيطالي فيلفريدو باريتو Vilfredo Pareto (١٨٤٨ – ١٩٢٣) حول أهمية ايمان البحارة ببوسيدون، حيث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسـهمت طقوسـهم وقـرابينهم تجاهـه فـي جعلهـم يلتزمـون بالنظـام علـى نحـو أفضـل، ويتكاتفون ويتحدون أمام المخاطر، بحيث أصبح إيمانهم ببوسيدون أمرا مفيدا ونافعا لهم، وصادقا بمعنى من المعاني[١]. ويمكن اعتبار ذلك أحد الموضوعات التي سبقت فيها البرغماتية الأمريكية الوضعية المنطقية التي تعرضت بجانب العوامل الداخلية إلى عوامل خارجية أدت إلى تراجعها الشديد من الساحة الفكرية، فكانت البدائل الأخرى أمام الإنسان المعاصر تعطيه أفاقا أوسع وتتفق مع طريقته في التفكير والحياة.

[١] برينتون، كرين: تشكيل العقل الحديث ترجمة: شوقي جلال ١٩٨٤، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ص ٣٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعتري مسألة التعامل مع المشروع الفلسفي والفكري لزكي نجيب محمود (١٩٠٥-١٩٩٣) مجموعة من الاعتبارات تتعلق بالسياق التاريخي والسياسي والاجتماعي في الوطن العربي، وذلك في المرحلة التي تبعت ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر وصولا إلى منتصف الثمانينيات، مع وجود مجموعة من المحطات المهمة التي يجب الوقوف عندها، وتحديدا المنعطف الذي أتبع نكسة ١٩٦٧، وإذا كانت حلقة فيينا، التي يعتبر زكي نجيب محمود ممثلها الكبير في العالم العربي، تأثرت هي الأخرى، بواقعها التاريخي المتمثل في صعود النازية وملاحقة المفكرين المستقلين، فإن الوضع في العالم العربي كان متأثرا بالأوضاع السياسية بصورة كبيرة، ولكن ذلك لم يمثل تهديدا من السلطة لفكر محمود، وعلى العكس من ذلك، فإنه حصل على تقدير كبير في الأوساط الأكاديمية والإعلامية.

على المستوى الفلسفي، الذي يمثل منطقة الشغل الرئيسة لدى محمود، فإن سؤالا مهما يجب أن يثار، هل يعتبر محمود بالفعل الممثل الشرعي للفلسفة الوضعية المنطقية؟ أم مجرد متأثر بأفكار هذه المدرسة، دون أن يعتبرها مجاله البحثي الأساسي؟ ونميل إلى الافتراض الثاني، فمقارنة بعبد الرحمن بدوي (١٩١٧- ٢٠٠٥)، الذي اهتم بتقديم الوجودية للفكر العربي، فإننا نلاحظ أن ما خلفه محمود في مجال الوضعية المنطقية في الجانب الفلسفي، لا يوازي ما قدمه بدوي في الوجودية، ويكفي المقارنة في محورين، الأول: ما قدمه بدوي من تعريف وعناية بالفلسفة التي مثلها في البيئة الفكرية العربية وهي الوجودية، وبين ما قدمه محمود في مجال التعريف بالوضعية المنطقية، فبدوي قدم "الزمان الوجودي" ١٩٤٥ و"الوجودية والإنسانية في الفكر العربي" ١٩٤٧، "هل يمكن قيام أخلاق وجودية" ١٩٥٣ و "دراسات في الفلسفة الوجودية" ١٩٦١، كما قام بترجمة كتاب "الوجود والعدم" لسارتر، في المقابل فإن العرض المعمق لأفكار الوضعية المنطقية لم يتبد عمليا لدى محمود إلا في "خرافة الميتافيزيقا" ١٩٥٣و"نحو فلسفة علمية" ١٩٥٨ و"المنطق الوضعي" ١٩٦١، وفي صفحات مقتضبة في كتابه "حياة الفكر في العالم الجديد"، ومما يثير الاستغراب أنه لم يعرض لأي من فلاسفة الوضعية المنطقية في فصل مستقل في كتابه "نافذة على فلسفة العصر"، وإنما اكتفي بتقديم وايتهيد **Alfred North Whitehead (١٨٦١ – ١٩٤٧)** ،و راسل Bertrand Russell (١٨٧٢- ١٩٧٠) (مؤسس في الفلسفة التحليلية) ، أرنست كاسيرر **Ernst Cassirer (١٨٧٤ – ١٩٤٥)** (فيلسوف مثالي تأثر بمدرسة ماربورج التي تبنت الكانطية الجديدة) ، تشارلز بيرس Charles Sanders Peirce (١٨٣٩ – ١٩١٤) (مؤسس البرغماتية)، وفي كتابه "قصة الفلسفة الحديثة" ١٩٥٩ فإنه يقدم القرن العشرين من خلال خمسة فلاسفة برجسون Henri Bergson (١٨٥٩ – ١٩٤١) ، كروتشي **Benedetto Croce**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٨٦٦ – ١٩٥٢) (مثالي)، راسل، سنتيانا **George Santayana** (١٨٦٣ – ١٩٥٢) و وليم جيمس **William James (١٨٤٢ – ١٩١٠)** (برغماتي)، ويجعل ذلك الباحث يعتقد أن محمود كان يضطلع بمهمة أوسع من التبشير بالوضعية المنطقية، وأنه يبحث في الفلسفة المعاصرة عن تركيبة فكرية عملية، علمية، عقلية، كانت الوضعية المنطقية تمثل أكثر وجوهها تطرفا، ولكنها بالتأكيد ليست التيار الوحيد الذي حاول محمود أن يقدمه أو ينافح عنه، ومن ناحية أخرى فإنه لا يلبث أن يتحول إلى "توفيقي" يعنى بالمصالحة بين التراث والفكر المعاصر على طريقته الخاصة التي تعتبر واحدة من المحاولات الناضجة والمتقدمة على النحو الذي سنوضحه لاحقا.

إن إدراك محمود لضرورة المعارك الفكرية في الوصول إلى التوفيقية، تظهر في كتابه "من زاوية فلسفية"، وينطلق من وصفه محاولة التوفيق بين تراث الماضي وثقافة الحاضر بـ (أم المشكلات) في الحياة الفكرية العربية[١]، وبنفس تأريخي، يعرض للصراعات التي توزعت بين التراثيين والتحديثيين، وهي:

١. المعركة حول نظرية التطور والمذهب المادي في القرن التاسع عشر، وطرفاها البارزان شبلي شميل (١٨٥٠ – ١٩١٧) وجمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ – ١٨٩٧)، بينما تبنى اسماعيل مظهر (١٨٩١ – ١٩٦٢) الرأي التوفيقي في كتابه ملقى السبيل، بفض الاشتباك بين نظرية التطور والمذهب المادي من جهة، وبيان أن قبول نظرية التطور لا يتنافى مع العقيدة الإسلامية، حيث أن سلسلة التطور تنتهي بالخلية الحية التي تستلزم خالقا، من جهة أخرى.
٢. المعركة حول رؤية الغرب للإسلام، وكانت على خلفية الانتقادات التي وجهها هانوتو ورينان[٢] وتبناها فرح أنطون (١٨٧٤ – ١٩٢٢)، والرد الذي قام به الإمام محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥) وأبدى وعيا بالتاريخ وعلم الأجناس وغيرهما من المجالات التي شكلت محاور الهجوم الذي شنه هانوتو **Gabriel Hanotaux** (١٨٥٣ – ١٩٤٤) ورينان Ernest Renan (١٨٢٣ – ١٨٩٢) .
٣. المعركة الثالثة حول وسيلة المعرفة ماذا تكون؟ هل تبدأ من داخل الإنسان إلى خارجه، كما يقول المثاليون والعقليون؟ أم من خارج الإنسان إلى داخله، كما يذهب التجريبيون والعلميون؟ هل ثمة أصول ومقولات في فطرة العقل يمكن على أساسها استنباط المعرفة، كما يقول المثاليون والعقليون؟ أم أن المعرفة مرتبطة بما يتحصل عليه الإنسان من معطيات حسية من

---

[١] محمود، زكي نجيب: من زاوية فلسفية ١٩٧٩ ط ٤ ١٩٩٣،دارالشروق – القاهرة، ص ٤١.
[٢] غابرييل هانوتو(١٨٥٣ – ١٩٤٤) مؤرخ ووزير خارجية فرنسي،أرنست رينان (١٨٢٣ – ١٨٩٢) مؤرخ فرنسي حمل بشدةعلى الإسلام،واعتنق وجهة نظر قائمة على التمييز العرقي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواقع، كما يأخذ به الفريق الثاني؟ أم أن المعرفة مرتبطة بتضافر مقولات العقل مع معطيات الحس، كما يرى مجموعة من الفلاسفة؟ وتبقى الأولوية المنطقية قائمة، لتصنف فلاسفة المجموعة الأخيرة، بين مثاليين أو تجريبيين.

هنا يعمد محمود إلى الحديث عن تجربته مع الوضعية المنطقية، التي يعترف بأنه نشرها ودعمها بكل وسائل النشر والتدعيم، على أن هذه مقولة سبق أن ناقشناها قياسا بنموذج بدوي والوجودية، وقبل أن يتطرق محمود إلى تفاصيل المعركة الفكرية التي كان أحد أطرافها، أو بالأحرى الطرف الفاعل فيها، فهو يلخص الوضعية المنطقية كما قدمها كموضوع لصراع فكري، على أساس أنها طريقة للنظر إلى كل ما تستخدم فيه اللغة والرموز الأخرى، ويعرض أيضا لوظيفتين للغة، الأولى تتعلق بالأمور القابلة للقياس والحكم ويمكن تطبيق معيار التحقق على قضاياها، والثانية، هي الأثر الوجداني القائم على التصور الذهني، وكأن ما يراه محمود في الوضعية المنطقية، لا يتعدى فلسفة للغة، أو فلسفة لتحليل اللغة، أو يمكن أن يعني، وفق تفسيره الشخصي، أن اللغة كانت هي الأساس في الصراع، وأن مناهضيه كانوا معنيين بمحاربة الوضعية المنطقية على أساس موقفها من اللغة.

إن تطرف زكي نجيب محمود ،في رؤيته للفلسفة، يجعله يحصرها في تعريف إجرائي على أساس الوظيفة اللغوية، فيقول "فإن سألتني بعد ذلك ما الفلسفة باختصار؟ قلت: إنها توضيح المعاني"[١]، والفكر كله، بالنسبة له، لا يكون إلا في صورة لفظية مرئية أو مسموعة[٢]، فالفكر هو ما يمكن أن يتناقله البشر، أما ما يعتمل في الذهن من حالات فكرية ليس سوى عبث لا يغير شيئا في العالم[٣]، وهذه المغالاة في النظر للفكر، في قيده اللغوي، وكأن اللغة هي العالم بأكمله، هي نظرة تحوله من الذهنية، بالمعنى الواسع، إلى الملموسية اللغوية القابلة لأن تصبح في متناول الحواس، وبالتالي تصبح اللغة لديه موضوعا لتناول معمق، وقابل للتحليل والتعديل أيضا، ويرى محمود، أن إصلاح اللغة هو بداية الإصلاح بشكل عام، ويقدم ذلك الطرح في "تجديد الفكر العربي" بوضوح "لست أتصور لأمة من الأمم ثورة فكرية كاسحة للرواسب، إلا أن تكون بدايتها

---

[١] محمود،زكي نجيب: قشورولباب ط ٢ ١٩٨٨ ط ١ ١٩٨١،دارالشروق – القاهرة، ص ١٥٩.
[٢] المرجع السابق، ص ١٧١
[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظرة عميقة عريضة تراجع بها اللغة وطرائق استخدامها، لأن اللغة هي الفكر، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك"[١].

وهكذا يمكن تصور أهمية اللغة، كأحد محاور معركة محمود مع خصومه من المناهضين للوضعية المنطقية، والمشككين في صلاحيتها، إلا أن ذلك كان يمثل رؤية خاصة بمحمود نفسه، وليست هي الموضوع الأساسي، الذي استثار من تصدوا لأطروحاته ودعوته بالرد، فكل تبنى وجهة النظر التي تلائمه للرد على الوضعية المنطقية.

يستعرض محمود ردود عباس محمود العقاد ومحمد البهي (١٩٠٥ – ١٩٨٢)، ولم يكن رد العقاد أو محمد البهي من التماسك المنطقي في شيء، الأمر الذي مكن محمود من تفنيد الحجج التي دفعا بها ردا على دعوته للوضعية المنطقية، إلا أنه وضع نفسه في زاوية واحدة مع طه حسين (١٨٩٩ – ١٩٧٣) وعلي عبد الرازق (١٨٨٨ – ١٩٦٦)، وضمنيا، وضع كتابه "خرافة الميتافيزيقا"، الذي أعاد نشره تحت عنوان "موقف من الميتافيزيقا"، بموازاة كتابي "في الشعر الجاهلي" و"نظام الحكم في الإسلام".

يورد محمود أيضا الرد الذي ورده في رسالة خطية من يوسف كرم (١٨٨٦ – ١٩٥٩)، ولاحقا في الكتاب الذي صدر له بعد وفاته "الطبيعة وما بعد الطبيعة"، ويشير دون أن يذكر أية تفاصيل، إلى الرد الذي أورده عثمان أمين (١٩٠٥ – ١٩٧٨) في كتابه "الجوانية"، فأمين يوجه كتابه للقراء الجوانيين، ويعفي من يقفون على حرفية الكلمات ولا يقرأون ما بين السطور، وهو تحديدا ما لا يراه محمود في نفسه، لتبدو المسألة بين أمين، الذي يطلق العنان لتأمله الفلسفي، باستخدام ألفاظ فضفاضة وغامضة، مقابل محمود الذي يتمسك بأن تكون لكل كلمة معنى يمكن الحكم عليه، ويرفض أن ينساق وراء التأويلات غير المجدية، وبذلك تبرز مدرستان لدى المشتغلين بالفلسفة العربية.

إلا أن محمود يتجاهل الإشارة إلى أحد النقاد الكبار للوضعية المنطقية، وهو يحيى هويدي (.... - ....) الذي نشر سنة ١٩٦٦ كتابه "ما هو علم المنطق ؟ دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية"، ويثير ذلك تساؤلين، في حالة كان هذا الإغفال متعمدا، ونظنه كذلك، هل أتى لأسباب فنية تتعلق بصعوبة مناقشة يحيى هويدي في استعراض عام لهذه المعركة الفكرية، التي كان

[١] محمود،زكي نجيب: تجديد الفكر العربي ٢٠٠٩،وزارة الثقافة الأردنية "مشروع مكتبة الأسرة" – عمان، ص ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمود أحد طرفيها الرئيسين؟ أم لأنه يعتبر رد هويدي عملا فلسفيا احترافيا، لا يمكن تصنيفه مع ما كتبه العقاد والبهي وكرم وأمين؟

٤. المعركة حول أولية الوجود الفردي وأصالته في الزمان والمكان، مقابل أولية وأصالة الفكرة التي تسبق وجود الناس، وبالتالي السؤال حول حرية الإنسان، بين استقلالية ذاته الفردية عن العالم والأشياء، أو اندماجها في حقيقة نوعية تقيده، وتحدد حريته، وفي هذه المعركة، يقف عبد الرحمن بدوي ممثل الوجودية والمنحاز للوجود الفردي الحر الفعال، ومقابله، ووفق تصنيف محمود للرد الجاد، يحضر العقاد الذي أتى رده توفيقيا بين الوجودية ومناهضيها[١].

هذه المعارك الفكرية، التي كان محمود طرفا في الثالثة منها، هي ما يراه تلخيصا للصراع بين التراثيين والمجددين، وهي أم المشكلات، التي ولدت مجموعة أخرى من المعارك، كانت تتجدد مع أخذ المفكرين العرب لأي من التقنيات الفكرية الغربية وتطبيقها على التراث والواقع القائم، ولم تكن معركة نصر حامد أبو زيد، الذي أفاد من الهرمنيوطيقا في إعادة قراءة النصوص الشرعية والتراثية، إلا أحد الفصول التي شهدت انتقال – أو بالأحرى عودة – المشكلات الفكرية إلى أروقة المحاكم بدلا من الكتب والأبحاث والمقالات المتخصصة.

في البداية تبدو الإشارة ضرورية إلى أن زكي نجيب محمود لم يكن مجرد مبشر بالوضعية المنطقية، وإنما داعية للعقلنة في الفكر العربي، والعقلنة هي فعل تحكيم العقل في النظر والحكم، ويمكن أن يوصف به محمود بناء على مشروعه الفكري ككل هو التنويري أو الليبرالي، وبحذر يمكن أن يندرج تحت تصنيف حسن حنفي (١٩٣٥ - ....) مع فؤاد زكريا ليبراليا علميا.

[١] محمود، زكي نجيب: من زاوية فلسفية ١٩٧٩ ط ٤ ١٩٩٣،دارالشروق – القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوضح محمود انتماءه الفلسفي، الذي تشككنا في أثناء قراءة أعماله، باعلانه الانتماء فعليا إلى الوضعية المنطقية بكامل طروحاتها، بناء على ما درسه من أعمال فلاسفتها، فهو يوضح ذلك بقوله:

"وأما في الفلسفة فإني أتبع فيها أصحاب المدرسة التحليلة بصفة عامة، والشعبة التجريبية العلمية المعاصرة منها بصفة خاصة؛ فأرى أن عمل الفيلسوف الذي لا عمل له سواه، هو أن يحلل الفكر الإنساني كما يبدو في العبارات اللغوية التي يقولها الناس في حياتهم العلمية أو في حياتهم اليومية على السواء؛ ليست مهمة الفيلسوف أن تكون له "آراء" في هذا أو في ذاك، لأن الرأي هو من شأن العلماء وحدهم"[١].

إن ما يقدمه زكي من رؤية حول تواضع الفيلسوف ودوره في القرن العشرين، يتحول إلى قوله بأن الفلسفة مجرد وظيفة هامشية، ولعله يلقي بالوظيفة المهمة إلى العالم، في انتهاك صارخ لدوره، فالعالم دوره رصد الظواهر ووصفها والتنبؤ بسلوكها وإمكانية التأثير عليه، وقدرته على الاستنتاج والتفسير والتحليل محصورة في الظاهرة وسلوكها المستقل عنه تماما، يمكن للعالم أن يتحيز، بحسب رؤية أيديولوجية، ولكن ذلك لا يجعله صاحب رأي، فالعالم ليس صاحب رأي، ولا ينبغي له أن يكون كذلك، يمكن أن يتأثر برأي ويعمل على إثباته أو نفيه، ولكن الكلمة الأخيرة، هي لسلوك الظاهرة وحقيقتها المنفصلة عنه تماما، وإذا كان الرأي متاحا للعالم وحده، فإن ذلك يختلف أساسا مع الاستخدام الشائع والمهني أيضا لكلمة "رأي"، فالعالم يبحث عن الحقيقة واليقين الذي أعلنت الفلسفة الحديثة فشلها في التعاطي مع موضوعاته، فالجاذبية الأرضية، هي يقين علمي، وليست موضوعا لرأي، الرأي يمكن أن ينشأ في تفسيرات معينة حول الجاذبية، ويبقى الرأي قائما إلى أن يتم التحقق التجريبي من صحته، في حالة توافرت الأدوات اللازمة لذلك، ولكنه لا يختلف ،حتى ذلك الوقت، عن الرأي الميتافيزيقي في الفلسفة.

مسألة ضرورية أخرى، أن المعركة حول الوضعية المنطقية كانت تمضي في محورين، الأول، يتعلق أصلا بقبول الأفكار الواردة من الغرب أو من ثقافات أخرى على العموم، فكثيرون اتخذوا موقفا مشابها من المواقف التي استقبلت بها الداروينية وأفكار فرويد والماركسية، كما أن النزعة السلفية تبدت واضحة، في مواقف كثيرين ممن نقدوا الوضعية المنطقية، فكانوا ينقدونها من منظورهم الخاص ووفق أيديولوجيتهم الفكرية، ويتساوى في ذلك المتدينون وغيرهم، أما المحور الثاني، فهو النقاش الفلسفي في تفاصيل الوضعية المنطقية وهو ما كان موضوعا لفئة

[١] محمود،زكي نجيب: قشورولباب، ص ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محدودة من المتخصصين كانوا يسعون لمناقشة محمود في الإطار الفلسفي، وفي كلتا الحالتين، كانت الحوارات تتداخل، وكأن السؤال الأساسي هو ما مدى حاجتنا للوضعية المنطقية، وذلك سيؤدي إلى سؤال آخر، لا يقل عبثية، يتعلق بمدى الحاجة أصلا إلى الفلسفة أو المعرفة في الوطن العربي.

ثمة مسائل شكلية، يجب أن تحسم قبل التعرض للمعركة الفكرية التي ثارت حول الوضعية المنطقية، فالأولى، هي تصنيف أعمال زكي نجيب محمود، على كثرتها، هل يتم الاعتماد على الأعمال ذات الطبيعة الفلسفية مثل "المنطق الوضعي"، و"من زاوية فلسفية"، و"موقف من الميتافيزيقا" و"نحو فلسفة علمية"؟ أم هل تنضاف لها أعماله الفكرية الأخرى مثل "تجديد الفكر العربي"، و"ثقافتنا في مواجهة العصر"؟ ومعها أيضا الكتب التي تحدث فيها عن ذكرياته ومعاركه الفكرية مثل "حصاد السنين"، وحتى الكتب ذات الطابع الأدبي مثل "جنة العبيط" و"شروق من الغروب"، ولما كانت الفلسفة من وجهة هي نظرية وممارسة، وحيث أنه يعبر في أعماله الفلسفية عن النظريات الفلسفية التي يتبناها، فإنه يترجمها في أعماله الفكرية المختلفة، وحتى ما ينسحب عليه وصف السيرة الذاتية في مواقف وأحكام، وذلك يفتح الباب إلى الاعتماد على مختلف أعماله باستثناء ما يميل بوضوح إلى الطابع الأدبي.

في المقابل، فإن ذلك يفتح بابا أيضا لأن يتموضع في مواجهته أو بمحاذاته آخرون من غير المشتغلين أو المتخصصين في الفلسفة، ومن غير المنتمين إلى الحلقات الأكاديمية الفلسفية، ومنهم غالي شكري (١٩٣٥ – ١٩٩٨) ومحمد متولي الشعراوي (١٩١١ – ١٩٩٨)، خاصة أن الأخير أصدر بيانه الشهير "غضبة الله" في جريدة اللواء الإسلامي بتاريخ ١٩٨٣/٠٣/١٧، متهما زكي نجيب محمود ويوسف ادريس (١٩٢٧ – ١٩٩١) وتوفيق الحكيم (١٨٩٨ – ١٩٨٧) بالتعدي على المقدسات وتشويه الدين أمام الناس.

المسألة الثانية، وهي المدى الزمني لنشاط محمود الفكري والذي يمتد لقرابة نصف قرن، وهو الأمر الذي يجعل كثيرا من أفكاره ذاتها موضوعا للتباين بين مرحلة وأخرى، وستسعى هذه الدراسة للتركيز على الوضعية المنطقية في فكره وتجنب التشعب تجاه قضايا أخرى في مشروعه الفكري طالما أنها لا تتعلق بالوضعية المنطقية.

المسألة الثالثة، وهي طبيعة الصراع بين التيارات الفكرية المختلفة في أوساط النخبة المصرية والعربية، والانتماءات المختلفة لأصحاب الفكر والمشتغلين عليه، ومدى تأثير ذلك على مواقفهم، وزاوية النظر لكل مفكر بحسب انتمائه السياسي أو الفكري، فنقد غالي شكري "١٩٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ١٩٩٨" مثلا أتى متأثرا بفكره الماركسي وكان التركيز على رؤيته لمحمود كممثل للتغريب في الثقافة العربية، التغريب بالمعنى السياسي، وليس المعنى الفكري، بينما انصرف نقد آخرين لموضوع الدين والميتافيزيقا دون أن يعنى بمشروع التغريب الذي كان على ما يبدو متضخما لدى الماركسيين وهامشيا لدى الإسلاميين.

وأخيرا، فسؤال مهم يجب أن يثار، وهو متى بدأت علاقة زكي نجيب محمود بالوضعية المنطقية، ويكتسب هذا السؤال أهمية خاصة في تفهم الوضعية المنطقية التي تبناها محمود، أو الجانب الذي أولاه اهتمامه، وهو بحسب ما يتضح في كتابه "موقف من الميتافيزيقا" متعلق بصورة كبيرة باللغة وتحليلها، والمعروف أن محمود حصل على الدكتوراه من جامعة لندن، وأنه تأثر تحديدا بما قدمه الفيلسوف ألفريد آير Alfred Jules Ayer (١٩١٠ – ١٩٨٩)، وبتتبع الهوامش التي يستعين بها محمود في الكتاب المذكور على سبيل المثال لا الحصر نجد أن اعتماده ينصب على كتاب آير "اللغة، الحقيقة والمنطق" Language, Truth and Logic والترجمة الإنجليزية لكتاب ردولف كارناب Rudolf Carnap (١٨٩١- ١٩٧٠) "The Logical Structure of the World" ، وأيضا أعمال راسل وفتجنشتين Ludwig Wittgenstein (١٨٨٩ – ١٩٥١) ومور George Edward Moore (١٨٧٣ – ١٩٥٢)، بينما لا يرد أي ذكر لمورتيز شليك Moritz Schlick (١٨٨٢ – ١٩٣٦) سوى مرة واحدة، وينقل عنه عبارة لفتجنشتين، ولا يذكر نيوراث Otto Neurath (١٨٨٢ – ١٩٤٥) نهائيا، بمعنى أن الجانب الذي يهتم به محمود هو الجانب المنطقي واللغوي، أو الوضعية المنطقية بوصفها امتدادا للفلسفة التحليلية، وليس الجوانب المتعلقة بالعلوم الطبيعية أو الاجتماعية، فمحمود يرى "أن الفلسفة يجب أن تكون تحليلا صرفا"[١]، وذلك يولد مشكلتين في الوقت نفسه:

١. اللغة في الثقافة العربية تحظى بهالة من التقديس بحيث تعامل عادة كأحد الموضوعات ذات الطبيعة الدينية، بما يجعل أي محاولة جدية لنقدها، موضوعا لإثارة تيار فكري واسع، لا يقتصر على رجال الدين أو المفكرين الإسلاميين، وتعد أزمة كتاب "مقدمة في فقه اللغة العربية" للويس عوض (١٩١٥ – ١٩٩٠) نموذجا واضحا على ذلك، وهذه النقطة لا يغفل عنها محمود، فهو يعترف بأهمية اللغة في الحياة العربية، ويوضح ذلك "لم تكن اللغة في ثقافة العرب "أداة" للثقافة، بل كانت هي الثقافة نفسها"[٢].

---

[١] محمود،زكي نجيب: نحو فلسفة علمية، ص ١٦.
[٢] محمود،زكي نجيب: تجديد الفكر العربي، ص ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهل يمكن تفسير عناية محمود بتحليل اللغة على أساس أنها مدخله لتغيير ثقافي وفكري شامل؟ فالنزعة لتقديم تحليل اللغة كمدخل للوضعية المنطقية وأهم محاورها على الأطلاق، تتبدى في كتابه "نحو فلسفة علمية" ١٩٥٨، خاصة أنه يعلن أكثر من مرة تبنيه للوضعية المنطقية، ويستخدم تعبير "نحن الوضعيون المنطقيون" في أكثر من موقع في الكتاب، نميل إلى اعتبار ذلك أحد الأوجه التي جذبت محمود للوضعية المنطقية وجعلته يرفع رايتها في الفكر العربي المعاصر.

٢. أين يمكن للوضعية المنطقية أن تجد مكانا إذا ما قدمت فقط كفلسفة لغة أو منطق، وأن تنافس الماركسية التي تداخلت في الممارسة الفكرية ابتداء من دراسات الاقتصاد والمجتمع، وحتى النقد الثقافي والأدبي؟

يدرك محمود وضعية الفلسفة المادية الجدلية أو الماركسية، وتتباين نظرته لها بين إلغائها أو وضعها ضمن سياقات الفلسفة الوضعية بشكل عام، أو الإقرار بدورها، ففي سياق تأريخه للتيارات الفلسفية الرئيسية في القرن التاسع عشر، يوضح:

"جاء القرن التاسع عشر فجرى خلال أعوامه تياران فكريان: تيار المثالية من جهة وتيار الوضعية من جهة أخرى؛ الأول يلبي نداء القلب ويشبع الجانب العاطفي من الإنسان، والثاني يحصر نفسه في حدود التجربة وحدها"[١].

ولكن محمود يعود ليضعها في سياق فلسفات القرن العشرين، بوصفها إحدى الفلسفات الرئيسية، بجانب البرجماتية والتحليلية والظاهراتية[٢]، ولكنه يركز على الجانب الذي يعنى بتوظيف الفلسفة لتغيير العالم، ويجعل الفكر وعمليات التغيير شيئا واحدا، وهو برأيه ما يجعلها، تنتمي إلى روح العصر، ويجعلها تتسق مع الموقف الذي يريده للفكر العربي[٣].

ويبدو أن محمود تأثر بالتأريخ الغربي والرؤية الأكاديمية السائدة في الجامعات البريطانية حول الماركسية، على الرغم من أن الماركسية كانت أهم إضافة للفلسفة المادية في العصور الحديثة، والتيار الفكري والفلسفي الأوسع أثرا في النصف الأول من القرن العشرين، ويبدو أن محمود لم يكن معنيا بنقد محمود أمين العالم (١٩٢٢ – ٢٠٠٩) أو غالي شكري، بقدر اهتمامه

---

[١] محمود، زكي نجيب: نحو فلسفة علمية ١٩٥٨،مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة، ص ٤٣.
[٢] محمود، زكي نجيب: نافذة على فلسفة العصر ١٩٩٠، سلسلة كتاب العربي، مجلة العربي – الكويت، ص ١٧٨.
[٣] المرجع السابق، ص ١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنقد من قبل التيار الديني حتى لو كان منتقدوه من خارج تيار الدراسات الفلسفية على الإطلاق، مثل الشيخ الشعراوي.

نقطة الابتداء لدى زكي نجيب محمود هي في نظرته تجاه الفلسفة التي لا يراها تعدو التحليل، وتحديدا التحليل المنطقي، وعلى ذلك ينطلق إلى استبعاد الميتافيزيقا، لأنها غير قابلة لأن تكون موضوعا للتحليل، فالكلام لديه ينقسم إلى صحيح وخاطئ وفارغ، وضمن الكلام الفارغ توضع الميتافيزيقا (التأملية)، فالميتافيزيقا ترفض على أساس استخدامها إما لكلمات غير ذات معنى أو مدلول مما اتفق عليه الناس، أو لأن ألفاظها لا تقول شيئا في السياق الذي اجتمعت فيه وإن حملت كل كلمة معنى ودلالة[١]، ومع أن ذلك لا يعدو سوى تقديم لأحد مبادئ الوضعية المنطقية في رفض الميتافيزيقا، فإنه أثار لغطا واسعا ومعارضة كبيرة جعلت محمود يحجم عن نشر الطبعة الثانية من الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ حتى العام ١٩٨٣، بما يعني فارقا زمنيا يصل إلى ثلاثين عاما، وأرفقت الطبعة الثانية التي شهدت تغيرا في اسم الكتاب من "خرافة الميتافيزيقا" إلى "موقف من الميتافيزيقا" بمقدمة تشرح ملابسات الضجة التي أثيرت بعد صدور الطبعة الأولى، وكان اللافت في الأمر، هو إصرار محمود على نفي أن آراءه في الميتافيزيقا يمكن أن تنسحب على الدين، فهو يستعرض هذه المسألة تفصيلا، ويبحث عن مخرج من تهمة التعريض بالدين.

"كان أوجع نقد وأبشعه، هو أن اختلط الأمر على الناقدين فخلطوا بين فلسفة ودين، حتي خيل إليَ يومئذ أن بعض هؤلاء الناقدين – على الأقل – لم يقرءوا من الكتاب شيئا، وهم إما أن يكونوا قد اكتفوا بقراءة عنوانه – في طبعته الأولى – ((خرافة الميتافيزيقا))، قائلين لأنفسهم شيئا كهذا: الميتافيزيقا هي ما وراء الطبيعة. وما وراء الطبيعة، هو الغيب، وأيضا هو الله سبحانه وتعالى، وإذن فهذه الجوانب العامة من الإيمان الديني خرافة عند مؤلف هذا الكتاب"[٢].

ويتضح من ذلك أن محمود لم يكن معنيا بتوضيح لا أدرية الوضعية المنطقية، أو مواصلة المعركة الفكرية التي أثارتها الطبعة الأولى من الكتاب، وإنما انتزاع نفسه من التناقض الظاهري بين الوضعية والدين، مع أن الصراع عادة ينشأ بين اتجاهين يتبادلان الاعتراف وليس الرفض أو الإنكار، كما أن الدفع الذي يقدمه محمود لا يمكن أن يصنف ضمن رؤية تليق بشخص تبنى الوضعية المنطقية كمدرسة فلسفية، فكيف يمكن أن يدعي أن موقفه من الميتافيزيقا يختلف عن

---

[١] محمود،زكي نجيب: موقف من الميتافيزيقا ط ٤ ١٩٩٣،دارالشروق – القاهرة، ص ١.
[٢] محمود، زكي نجيب: موقف من الميتافيزيقا، ص (د).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقفه من اللاهوت، فهو يصر على تنحية الموضوع الديني جانبا ويدفعه خارج حلقة نقده وحكمه بفراغ المعنى، وهذه التناقضات ليست غريبة عن محمود، ومع أن بعضا من الدراسات انصرفت لتتبع مفارقاته المنهجية، إلا أنه أشار إليها بوضوح في مقدمة تجديد الفكر العربي، ووضع المسوغ لهذه التناقضات.

" لقد تعاورني أثناء محاولاتي الفكرية أمل ويأس، فكثيرا ما كنت ألمح مخرجا يؤدي بنا إلى حيث نريد أن ننتهي من المزيج الثقافي الذي تكون فيه الأصالة وتكون فيه المسايرة للعصر الراهن؛ ثم سرعان ما يختفي هذا القبس العابر لينسد أمامي الطريق، ولذلك كثيرا ما أقع في أقوال متناقضة نشرتها في لحظات متباعدة، فلا يبعد أن يجد قارئ مقالاتي والمستمع إلى محاضراتي العامة وإلى الندوات الفكرية التي شاركت فيها، آراء متعارضة لا يتسق بعضها مع بعض"[١].

يظهر محمود بصفته وضعيا منطقيا بصورة متباينة في مختلف مراحل تطوره الفكري التي استمرت لقرابة النصف قرن، وكانت مسألة تحقيب مسيرته الفكرية مسألة شغلت الباحثين ومنهم الدكتور إمام عبد الفتاح إمام (١٩٣٤- ....) الذي حدد مسيرته على النحو الآتي:

١. مرحلة التدين الخالص أو المبكر، وهو تدين يكاد يقترب أحيانا من التصوف.
٢. مرحلة العقل الخالص، وهي تبدو نقيضا للمرحلة الأولى، وأراد أن يشيع فيها استخدام العقل والاسترشاد بنوره من ناحية، والثورة العقلية على الواقع الاجتماعي السيء في بلاده من ناحية أخرى.
٣. مرحلة التدين المستنير بضوء العقل، وهي مركب المرحلتين السابقتين[٢].

---

[١] محمود،زكي نجيب: تجديد الفكر العربي، ص ١٥.
[٢] إمام ، إمام عبد الفتاح: رحلة في فكر زكي نجيب محمود مع نص رسالته عن الجبر الذاتي ٢٠٠١، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ص ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهما تكن مسألة تحقيب مراحل فكره، وسواء قام بها محمود بنفسه أو اضطلع بها غيره، فإنها مسألة ليست وثيقة الصلة بوضعه كممثل للوضعية المنطقية، ولكنها تكشف عن وجه آخر نراه في محمود، فالوضعية المنطقية كانت مرحلة انتقالية في حياته، إلا أنه لم يفارق البرغماتية مطلقا في مسيرته، فتقييمه للأمور يتم بنفس برغماتي يستند إلى نفعها وفائدتها، وذلك حتى في لجوئه لتبني الوضعية المنطقية ونشرها في الوطن العربي، ويبلور أحمد ماضي (١٩٤١ - ....) ذلك في نظره إلى المشروع الفكري الخاص بمحمود.

"من الجدير بالذكر أن د. زكي عندما عاد من بعثته إلى مصر عام ١٩٤٧، كان اعتقد أنه إذا كانت "التجريبية العلمية" مجرد اتجاه فلسفي في الغرب، فهي، بالنسبة للأمة العربية، ضرورة... لقد رأى في الوقفة الفلسفية (التجريبية العلمية أو الوضعية المنطقية) نفعا عظيما للأمة العربية في نهوضها العلمي والفكري والثقافي"[١].

ويلاحظ أن تقييم ماضي ،في أبحاثه الأخيرة منذ منتصف الثمانينيات، أتى بنبرة هادئة تختلف عما أبداه من موقف سابق تجاه المشروع الفكري لزكي نجيب محمود، ففي نهاية الستينيات، يوجه ماضي نقدا شديدا للوضعية المنطقية التي يتبناها محمود:

"وظني أن هذه المدرسة الفلسفية لو سادت في بلادنا وقدر لها الغلبة لرجعنا القهقرى. ذلك أنها تبعد اهتمام الناس عن طرح القضايا والمشكلات التي تواجههم. وأعتقد أن تأخرنا الفكري، ومن ثم تخلفنا في ميادين الحياة الأخرى من صناعية وزراعية وعلمية الخ.. لا محيد عنه لو تنبى الناس هذا الطراز من التفكير الفلسفي البعيد عن الفلسفة والحياة الإنسانية والواقع الموضوعي"[٢].

ويستكمل ماضي، الذي يمكن أن يحسب على تيار المناصرين المتحمسين للمادية الجدلية في تلك المرحلة، نقده اللاذع للوضعية المنطقية التي يروج لها محمود، بما يؤكد ما ذهبنا له في مقدمة الفصل الحالي، فهو يراها عاجزة عن الوصول إلى النخبة الفكرية، فضلا عن المشتغلين بالفلسفة، على الرغم مما يتوافر لمحمود من إمكانات في الأوساط الأكاديمية والفكرية.

"فهو، بدأب وحماس شديدين، يدافع وينشر فلسفته. وكل ذلك عبث في عبث مع أنه يملك التأثير القوي بصفته أستاذا في جامعة القاهرة وعضوا في بعض هيئات تحرير المجلات المصرية

---

[١] المصباحي محمد (منسقا): رهانات الفلسفة العربية ٢٠١٠،جامعة محمد الخامس، أكدال – الرباط
دراسة الدكتور أحمد ماضي بعنوان "هل ثمة فلسفة في العالم العربي يمكن أن تنعت بأنها عربية؟"، ص ٤٠٥.
[٢] ماضي، أحمد (١٩٦٩) حوار فلسفي مع الدكتور زكي نجيب محمود، مجلة الآداب العدد (٤) لسنة ١٩٦٩: نيسان ١٩٦٩ ، بيروت: دار الآداب، ص ٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإضافة إلى أنه رئيس تحرير سابق لمجلة ((الفكر المعاصر)). إن جهوده ومحاولاته لم تكلل بالنجاح المطلوب لأن عدد أنصار فلسفة الوضعية المنطقية لم يتعد بضعة أفراد. لقد بقيت هذه الفلسفة ذات تأثير ضيق ومحدود"[١].

إن ماضي يواجه محمود في إحدى الزوايا التي يستند عليها الأخير، في تصوره لضرورة أن تكون الفلسفة علمية وعملية، فمن ناحية، فإنها لا تتوافق مع التطور الموضوعي، ولا تطرح حلولا للمشكلات والقضايا التي تتعلق بالتقدم المأمول، ومن ناحية أخرى، فهي من ناحية موضوعية، لم تتمكن من منافسة المادية الجدلية في هذه السياقات، حسب ما يوضحه ماضي:

"وإذا كانت ((المأساة)) تتجسد في كون الوضعية المنطقية فلسفة علمية وعقلية فإن السؤال التالي لا بد أن يتبادر إلى الأذهان:- لماذا تجد مبادئ الاشتراكية العلمية وأفكارها صدى ودعما ليس لدى الدوائر الحاكمة في ج.ع.م بل وفي صفوف المثقفين الثوريين وأوساط العمال والفلاحين؟ لا ريب في أن سبب الانتشار والتأييد يعود إلى أن فلسفة الاشتراكية العلمية ليست فلسفة تأملية معلقة في الهواء وإنما فلسفة متصلة اتصالا وثيقا بالواقع واهتمامات البشر"[٢].

وأتفق مع ماضي في رأيه بخصوص الاشتراكية العلمية، وإن كنت أتحفظ على تبنيها من قبل الدوائر الحاكمة، لأنه أتى في مجمله جزئيا يركز على جوانب العدالة الاجتماعية، ولم ينصرف إلى الجانب الذي يهتم بالعلم أو يتبنى رؤية الاشتراكية العلمية من الناحية الفلسفية، كما أن هذه الدوائر تبنت الاشتراكية العلمية في الوقت الذي ضيقت فيه على الشيوعيين المصريين، ولاحقتهم وألقت بهم في السجون، ولعل جزءا من التبني الشكلي أتى لتحظى مصر بوضعية متميزة لدى الاتحاد السوفييتي، ويدلل على أن الدوائر الحاكمة لم تكن جدية في التعامل مع قضية الاشتراكية هي التحول السريع وشبه الأتوماتيكي لتأييد الرأسمالية وحلولها بعد رحيل الرئيس عبد الناصر، إلا أن ما يرد بخصوص تبني الاشتراكية العلمية من قبل المثقفين الثوريين، فصحيح، وله كثير مما يؤيده من شواهد تاريخية، وكذلك في انتشارها بين الطبقات الفقيرة والبرجوزاية الصغيرة، مثل طبقات العمال والفلاحين، وطلبة الجامعات.

إن تحولات محمود الفكرية تجعله قريبا في سلوكه الفكري من برتراند راسل وكأنه النسخة العربية من هذا الفيلسوف البريطاني المرموق، إلا أنه يفترق في نقطتين، الأولى، هي افتقاره للأصالة التي توافرت لراسل في أعماله الفلسفية والرياضية والفكرية، والثانية، أن راسل

---

[١] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمتع بجرأة كبيرة أثرت على مسيرته المهنية والأكاديمية، فانتهت علاقته مع أكثر من جامعة بسبب جرأته في ابداء رأيه، وما يمكن أن يوصف بالتجاوزات الأخلاقية، وكان منها موقفه من الزواج والأسرة، بينما كان محمود يميل إلى التورية والحلول الوسط، أو ما يمكن أن نطلق عليه التقية الفكرية.

إن المواقف التي اتخذها المشتغلون بالفلسفة تجاه الوضعية المنطقية، بصفة عامة، وفكر زكي نجيب محمود، فيما يتعلق بالوضعية المنطقية بصفة خاصة، جرت بلورتها في الدراسة التي قدمها أحمد ماضي حول الوضعية المحدثة والتحليل المنطقي في الفكر الفلسفي المعاصر في العالم العربي، عمان: الجامعة الأردنية، مجلة "دراسات" سنة ١٩٨٤، وهي الدراسة التي نشرت مرة أخرى في أعمال المؤتمر الفلسفي بالجامعة الأردنية ونشرها مركز دراسات الوحدة العربية في كتاب صدر سنة ١٩٨٥، ولعل شيئا مهما لم يتم إصداره فيما يتعلق بالوضعية المنطقية بعد هذه المرحلة حيث خفت الجدل حولها لسببين رئيسين، فمن ناحية لم يعد ممكنا أن يعتبر زكي نجيب محمود ممثلا للوضعية المنطقية في الثمانينيات وحتى رحيله وإنما تحول إلى داعية لتجديد العقل العربي وأقرب هو نفسه إلى التأمل في الأوضاع العامة السياسية والاجتماعية، ومن ناحية أخرى تراجعت الوضعية المنطقية بشكل عام في مختلف أنحاء العالم أمام المدارس الفلسفية الأخرى وأمام الزخم الذي أحدثته طروحات فوكو Michel Foucault (١٩٢٦ – ١٩٨٤) ودريدا Jacques Derrida (١٩٣٠ – ٢٠٠٤) وهابرماس Jürgen Habermas (١٩٢٩ - ....) وغيرهم من الفلاسفة الذين بدأ الاهتمام يدور حولهم في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وكذلك الاتجاهات الحديثة في دراسة العلوم الطبيعية، فمايكل ريدهيد Michael Redhead (١٩٥٠ - ....) الذي وضع كتاب "من الفيزياء إلى الميتافيزيقا" From 1995 Physics to Metaphysics يرى أن الفيزياء أصبحت تقترب أكثر فأكثر نحو الفلسفة، وحتى علم الجمال[١]، الأمر الذي يمس التعويل الكبير الذي أفرده الوضعيون المناطقة على الفصل بين موضوعات العلم وموضوعات الميتافيزيقا، ويبقى نقطة أخيرة ليست على درجة كبيرة من الأهمية في مسألة تراجع الاهتمام بالوضعية المنطقية وهي أن التأليف الفلسفي تركز في السنوات الأخيرة في المغرب العربي الذي أبدى اهتماما كبيرا بالفلسفة الفرنسية المعاصرة والحديثة ولم يكن يحمل ذات الاهتمام بالمدارس الفلسفية الأخرى، وهو ما جعل الحوار الفلسفي بمجمله يتحرك ميمما للمغرب.

[١] النسخة العربية من مجلة العلم اليوم Science Today العدد (٠) يونيو ٢٠٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذه الدراسة الواسعة لـ "أحمد ماضي" تغطي قطاعا واسعا من المشتغلين المحترفين في مجال الفلسفة، فمن مصر تقدم لآراء عبد الرحمن بدوي، وفؤاد زكريا ومحمد علي أبو ريان (....- ....) وتوفيق الطويل (١٩٠٩- ١٩٩١) ومحمد عبد الهادي أبو ريده (١٩٠٩ – ١٩٩١) وزكريا ابراهيم (١٩٢٤ – ١٩٧٤) ومحمد ثابت الفندي (١٩٠٨ – ١٩٩٣) وأحمد فؤاد الأهواني (١٩٠٨ – ١٩٧٠) ومحمد مهران (١٩٣٩-٢٠١٢) وصلاح قنصوة (..... - ....) وعاطف أحمد (....- ....) وإبراهيم فتحي (.... - ....) ، ومن المغرب محمد عابد الجابري (١٩٣٦ – ٢٠١٠) وسالم يفوت (١٩٤٧ - ....) ، ومن لبنان ماجد فخري (....- ....) وناصيف نصار (١٩٤٠ - ....) ومحمد عبد الرحمن مرحبا (١٩٢٥ – ٢٠٠٦) ، ومن العراق ياسين خليل (١٩٣٤ – ١٩٨٦) (الذي يمكن أن يعتبر بطريقة أو بأخرى من أكثر من تعرضوا لدراسة الوضعية المنطقية والفلسفة التحليلية بشكل عام في أعمالهم الفلسفية) ومعه محمد باقر الصدر (١٩٣٥ – ١٩٨٠)، وأخيرا الطيب تيزيني (١٩٣٤ - ....) من سوريا، وأمام هذه البانوراما التي تتبعت آراء هذه النخبة من المشتغلين العرب بالفلسفة فإنه لا يبقى كثير من الأسماء خارج هذا النطاق، أما رسائل الماجستير والدكتوراة التي يتم اعدادها عن زكي نجيب محمود وفكره ومشروعه التنويري أو التثويري فإنها لا تتعرض بصورة جوهرية للوضعية المنطقية وإنما لمجمل فكر محمود، وما يعنينا من فكر محمود في هذه الدراسة هو ما يتعلق بالوضعية المنطقية تحديدا وهو ما تصدى له ماضي في دراسته بصورة معمقة، وتبقى بعض الأسماء التي تستأهل الاهتمام وهي يحيى هويدي ويمنى طريف الخولي (١٩٥٥- ...) وماهر عبد القادر محمد علي (١٩٤٤ - ....) وعلي زيعور (١٩٣٧ - ....) ، بجانب غالي شكري ومحمود أمين العالم ومهدي عامل (١٩٣٦ – ١٩٨٧) كممثلين للماركسية العربية التي شكلت ألد خصوم الفكر الذي حمله زكي نجيب محمود تحت لواء الوضعية المنطقية، على الرغم من النفس الأيديولوجي الذي يصبغ أعمالهم تجاه فكر محمود ومشروعه.

كما أن هذه الدراسة ستمضي إلى مناقشة ماضي في دراسته المذكورة وإعادة النظر في الأفكار التي قدمها مستندة إلى فارق زمني يصل إلى ثمانية وعشرين عاما بين دراسته وهذه الدراسة، كما ستتعرض لآراء ماضي التي وردت في هذه الدراسة باعتبارها موضوعا للبحث كأحد المشتغلين الذين تخصصوا في جانب من دراستهم وإنتاجهم بالوضعية المنطقية.

لا يتوقف ماضي في تقديمه عند الوضعية المنطقية حصرا وتحديدا، واللافت للانتباه أنه يبحث في الوضعية المحدثة التي تعد المنطقية جزءا منها، ويشير إلى أن الوضعية المحدثة كما يقصدها تشتمل على التجريبية العلمية والتحليل اللغوي والفلسفة التحليلية، وهذه الرؤية جعلت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسته من الشمولية بما يستحق التنويه، ويرى ماضي أن زكي نجيب محمود وإن يكن يعد أبرز من عرض الوضعية المنطقية فإن آخرين اهتموا بدراستها، فبجانبه في طرف المتحمسين للوضعية المنطقية محمد عبد الرحمن مرحبا، بينما يصنف محمود أمين العالم ويحيى هويدي وعاطف أحمد وياسين خليل ممن اهتموا بدراستها وتشكيل موقف حيالها، ويمكن إضافة يمنى طريف الخولي التي اهتمت بالوضعية المنطقية في فترة لاحقة لدراسة ماضي.

يبدأ ماضي من أسئلة مشروعة تتعلق بتعامل الأوساط الفلسفية والفكرية العربية مع الأفكار الواردة من الغرب (أو الآخر بالمجمل) وهو يرى أن هذه الأسئلة لا تقتصر على الوضعية المنطقية لكن تنسحب أيضا على فلسفات أو مدارس أو أفكار أخرى، فما ينطبق على من يتبنى الوضعية المنطقية في العالم العربي ينطبق على الوجودي العربي والماركسي العربي[١]، وهذه الأسئلة تأتي كموضوع لبحث ماضي.

"هل يوجد تفاعل أم محاكاة؟ هل نلحظ تأثرا ببعض مبادئ هذا الاتجاه أو استيرادا لاتجاه بأكمله؟ ما مدى الأصالة في ما نأخذ؟ وبما أن بحثنا عن الوضعية المحدثة، فهل هي تتلون بلون آخر عندما يتبناها العرب؟"[٢]

وقبل أن يشرع ماضي في الإجابة عن هذه الأسئلة فإنه يطرح السؤال عن سبب اهتمام المشتغلين العرب بالوضعية المحدثة، ويعزو ذلك إلى تصورهم بأنها أقرب الفلسفات إلى العلم الذي يمثل روح العصر، أو أنها فلسفة العلم أو فلسفة علمية أو ذات نزعة علمية[٣]، وهذه النقطة تحديدا قرأها ماهر عبد القادر محمد علي بطريقة مغلوطة في كتابه "خرافة الوضعية المنطقية"، فماضي لم يقدم اعترافا قط بأن الوضعية المنطقية هي فلسفة علمية إن لم يكن بعيدا من خلال مشروعه الفكري عن تقديم ذلك الاعتراف، ولكنه في الوقت نفسه يقر بأن الوضعية المحدثة قدمت خدمات جليلة من خلال التحليل المنطقي[٤]، والمفارقة التي يطرحها ماضي أن من اهتموا بالوضعية المحدثة في العالم العربي لم يولوا التحليل المنطقي ما يستحق من اهتمام، مع أنه يمثل قلب الوضعية المنطقية والوضعية المحدثة، وأن ذلك ينسحب على مواقف أخرى من الوضعية المحدثة، وإن لم يصرح ماضي مباشرة بذلك فإنه يشير إلى أن كثيرا من المواقف العربية التي اتخذت حيال الوضعية المحدثة كانت تتسم بالسطحية والخفة، ويشير ماضي إلى محاولات عربية

---

[١] ماضي، أحمد (١٩٨٥) الوضعية المنطقية في الفكر العربي، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ١٧٣.
[٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٣] المرجع السابق، ص ١٧٤.
[٤] المرجع السابق، ص ١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتوظيف الفلسفة التحليلية، وانتاج رديف عربي يتمثل في فلسفة تحليلية دينية أو أخلاقية، مثل ناصيف نصار.

في مقابل حماسه للتحليل المنطقي فإن ماضي يرى أن الوضعية المنطقية لتكتسب صفة الفلسفة العلمية من حيث هي تحليل للغة العلم فإنه يفترض أن تجاوز حدود الواقع اللغوي نفسه، بمعنى أنه يصل إلى مقاربة عربية خالصة تسعى لإعادة صياغة دور الوضعية المنطقية بخصوص التعلق بالتحليل اللغوي، فالمنطقي لديه لا يؤدي بالضرورة إلى اللغوي، وربما لا يجب أن يتضاءل لذلك.

ومهما يكن من أمر في دراسة ماضي، التي شملت قطاعا واسعا إن لم يكن الأوسع في التعرف إلى آراء الوسط الفلسفي العربي في الوضعية المنطقية إلا أنه يبدي جملة من آرائه بخصوصها، فهو يرى أنها نوع من المثالية الذاتية التي تضرب جذورها في فكر بيركلي وهيوم[١]، على أساس أن الوضعيين المناطقة وقعوا في هذا التصنيف بناء على تصريحاتهم المعادية للفلسفة التي قدمت في بعض الأحايين تنازلات لا إرادية أمام الفلسفة المادية، فضلا عن تعويلهم على المعطى الحسي[٢] ويصل إلى نتيجة مفادها أن ذلك يدلل على عدم تماسك الوضعية المنطقية من الناحية المنطقية.

ويشدد ماضي على أن الوضعية المنطقية ليست فلسفة حيادية كما طرحت نفسها وكما تصورها بعض المشتغلين بالفلسفة، فهي لا تمثل منطقا ((نقيا)) بل عملت على استخدام التحليل المنطقي للبرهنة على فلسفتها الوضعية[٣]، وينوه إلى أن التحليل المنطقي ظهر كبحث ميتاعلمي، حيث لا يبحث في الأشياء ذاتها ولا يهدف إلى بلوغ حقائق جديدة، وإنما مهمته ضبط وتوضيح معاني الكلمات والعبارات التي تتألف منها المعرفة، وصوغ القضايا الأقل وضوحا في صيغ أكثر وضوحا، بمعنى تبديل تعاريف بتعاريف أكثر دقة، ووضع المفهوم غير المحدد بمفهوم أكثر تحديدا ودقة وصرامة[٤].

وينتقد ماضي التوظيف الوضعي المنطقي للتحليل حيث يراه يمضي في اتجاهين، سلبي، يهدف إلى التخلص من العبارات الميتافيزيقية الزائفة، وايجابي، يبحث في البناء المنطقي للمعرفة

---

[١] المرجع السابق، ص ١٩٨.
[٢] المرجع السابقن الصفحة نفسها.
[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٤] المرجع السابق، ص ١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلمية بهدف بيان مضمونها المعطى بصورة مباشرة وحل المسألة الكلاسيكية المتعلقة في المعرفة الإمبريقية المباشرة[١].

يتضح أن ماضي يدافع عن التحليل المنطقي دون إفراط، ويعتبره إضافة مهمة للبحث، وأنه يمكن اعتبار الفلاسفة الوضعيين المناطقة أصحاب إضافة مهمة للمنهجيات أكثر مما أسهموا به في مجال الوضعية المنطقية، ويبرر ماضي أهمية التحليل المنطقي بأن تعقد بنية المعرفة العلمية وتزايد قيمة الرياضيات وافتقار بعض التصورات في العلوم الطبيعية للوضوح العياني، كلها أمور دفعت فلاسفة العلم إلى معالجة قضايا ذات طابع ميثودولوجي ومنطقي، وهي القضايا التي تحتاج إلى تحليل منطقي دقيق وترابط الأساس الإمبريقي والمستويات النظرية للعلم[٢]، ويضيف ماضي بأن الوضعية المنطقية أحالت الفلسفة إلى نظرية ((نقية)) في المعرفة، وأن التحليل المنطقي أدى إلى تحويل الفلسفة إلى نظرية شكلية للمعرفة كما أنه سعى إلى استعمال المنطق كـ((انطولوجيا)) جديدة، أي بناء الواقع منطقيا[٣].

وفي تقييمه النهائي يرى ماضي أن الوضعية المنطقية ((تهربت)) من استحقاق مواجهة المسائل الفلسفية إلى مجاهل التدقيق المنطقي، وأنه من الخطأ أن تتم إحالة كافة المسائل الفلسفية إلى أنها ذات طابع لغوي منطقي خالص[٤].

إن التقييم الذي قدمه ماضي يعتبر إجمالا لحالة الوضعية المنطقية في معالجة موضوعية، فهو لا ينصب نفسه مدافعا عن الميتافيزيقا ولا يعتبر ضمنيا أن الفلسفة هي فقط الميتافيزيقا وليست أي شيء آخر، ويؤمن بوظيفة الفلسفة في الطبيعة والعلم والإنسان وذلك هو ما يعطي الفلسفة المعنى، وليست محاولة فض الاشتباك بين الفلاسفة التقليديين والكلاسيكيين الذين أسرفوا في استخدام اللغة ولم يتوقفوا كثيرا عند صياغة مصطلحاتهم ومفاهيمهم بصورة دقيقة وصارمة تضمن لها أن تتداول في غير أوساط المختصين بالفلسفة وبالتالي أن تذهب إلى أداء دورها تجاه الإنسان والحضارة، إلا أن الرؤية التي يحملها ماضي لم تكن لتقبل أيضا في أوساط المشتغلين بالفلسفة في الوطن العربي، لأنها تقدم مشروع فلسفة علمية تؤدي دورها دون تواضع في الحياة الفكرية، وفي الوقت نفسه فإنها تقف ضد التأويل وأنشطته في نصوص قديمة ومنتهية الصلاحية، فهل يمكن أن يعتبر ماضي مع زكي نجيب محمود في مرحلته الفكرية الأولى وجهين لعملة

---

[١] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٢] المرجع السابق، ص ٢٠١.
[٣] المرجع السابق، ص ٢٠٢.
[٤] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحدة، وهل يمكن أن يعتبر ماضي داعيا لتجاوز التراث وترك العمل في مجالاته والانصراف نحو المعاصرة والتحديث دفعة واحدة، ونفهم من الفلسفة التي يريدها ماضي أنها ليست معنية مثلا بمحنة خلق القرآن وصراع المعتزلة والحنابلة، أو صراعات الجبرية والقدرية القديمة، ولكنها – وبأخذ بقية مشروع ماضي الفكري في الاعتبار – معنية باستئناف النهضة التنويرية العربية التي بدأت في منتصف القرن التاسع عشر، ويرى أن التأسيس على ما أنتجته هذه النهضة التنويرية هو الحل الممكن والمتاح والعملي للمضي قدما وتجاوز واقع التورط في الغموض والسفسطة والعقم الذي يعايشه الفكر العربي.

توجه الماركسيون العرب إلى متابعة فكر زكي نجيب محمود، وفي الوقت الذي كان محمود ينشر فكره دون وجود عوائق أمنية وسياسية حتى تمكن من فرض "المنطق الوضعي" كتابا مقررا في جامعة القاهرة، فإن الماركسيين المصريين تعرضوا للتضييق الأمني والاعتقال والتعذيب، بمن فيهم محمود أمين العالم، الذي وجه انتقادات لاذعة لفلسفة الوضعية المنطقية، وتوجه بعضهم إلى السفر خارج مصر، وكذلك فإن أفكار محمود استرعت اهتمام الماركسيين العرب الذين لم يروا في الوضعية بشكل عام (إلياس مرقص) والوضعية المنطقية بشكل خاص (شكري، العالم، عامل) ذلك البناء الفكري والفلسفي الذي يصلح لأن يعتبر أحد الحلول المطروحة للخروج من أزمة الواقع العربي.

إن محاولة محمود للتعامل مع موضوع تغيير الواقع المتخلف الذي يعيشه الوطن العربي، والانطلاق من موضوع اللغة والمصطلح بقي يلازمه حتى في مرحلة التدين المستنير بالعقل، فهو كما أشار ماضي موضوعه الأساسي الذي انطلق منه، ولم يفكر في مفارقته إطلاقا، ويشير غالي شكري إلى مجموعة من المشكلات التي تعتري رؤى محمود وأفكاره، منطلقا من النقطة التي فرضها الأخير في تعويله الكبير على اللغة، ومسألة توحيد المصطلح، وهو المسألة غير الممكنة في مجال العلوم الإنسانية على الشاكلة القائمة في العلوم الطبيعية.

ويأخذ كل من غالي شكري ومحمود أمين العالم على زكي نجيب محمود مسألة عنايته بالعقل كمجرد عمليات فكرية، ويعنى محمود بطبيعة هذه العمليات وتكوينها، وينحي جانبا نقطة الانطلاق على أساس أنها معطى من خارج العقل، وكذلك فهو يضع جانبا النقطة التي يريد العقل الوصول لها على أساس أنها تعبير عن رغبة هذا العقل، فمحمود يتحدث عن العقل معزولا عن السياقات الاجتماعية والتاريخية، التي تمثل عاملا مركزيا بالنسبة لمن تبنوا الفكر الماركسي والأدوات الماركسية في نقد المجتمع، إلا أن آراء محمود يمكن أن تقرأ بصورة مغايرة، فهو ليس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أنصار وجود إشكاليات أصيلة في العقل العربي تحول دون تمكن العرب من التقدم، وصولا إلى نتيجة مفادها العقل المستقيل، فالعقل لديه وظيفة فكرية يمكنه أن يوظف من أجل القيام بها جميع الأدوات المتاحة والمتمثلة في أدوات التحليل المنطقي، ويبدو أن نظرة محمود تتسم بالجانب العملي وتؤهل لإمكانية الإنطلاق قدما في حالة توافر الإرادة وتضافر بعض الظروف الموضوعية، وليس يتطلب لديه التعامل مع إشكاليات ستورط من يتصدى لها في كثير من الغموض وربما الضلال اللغوي، وعليه تصبح مسألة المصطلح لديه إجرائية، وإن كان شكري يقلل من أهمية هذه المسألة من حيث المبدأ، حيث أن الحديث عن التجديد في العقل العربي واعتباره مفتاحا للنهضة المبتسرة أو المفقودة لا يمكن أن يعتمد على إصلاح اللفظ، فاللفظ الذي ينتمي إلى العلوم الطبيعية يختلف عن اللفظ المستخدم في العلوم الإنسانية أو الاجتماعية على النحو الذي يوضحه شكري.

"إن تحديد اللفظ وتوحيده يؤدي فعلا إلى فتح باب الحوار بيننا، ولكن الاختلاف في الرأي سيظل قائما على عكس ما يتصور زكي نجيب محمود.. فالخلط بين حقائق العلوم الإنسانية متعمد، لأن القول الرياضي البسيط (١+١= ٢) لا يرادف القول الاجتماعي البسيط أيضا (أن رئيس الجمهورية المنتخب مباشرة هو الممثل الوحيد الصحيح لغالبية الشعب)"[١].

إن الخلفية الماركسية لشكري تجعله يتمسك بالقراءة الشمولية لمصالح بعض الطبقات في صياغة المصطلح وترويجه، ويقرر بأن "صياغة المصطلح نفسه تتدخل فيها بصورة غير مباشرة الانحيازات الاجتماعية المسبقة"[٢]، الأمر الذي يجعل ذلك المصطلح يقدم منظورا لبعض المجتمع العام أو المجتمع الفكري دون أن يقدم خدمة للعلوم الاجتماعية ولقضايا المجتمع، ويحمل شكري بشدة على رؤية محمود للعقل، فهو كما ذكرنا يرفض أن تكون نقطة الانطلاق للعقل وقائع منعزلة تماما عنه، ويرفض أيضا أن يكون الهدف في حد ذاته تلبية لرغبة العقل، وليست جزءا من العملية العقلية، وإن يكن شكري يتحاشى أن يصف محمود بالميكافيلية، فإنه يشير إلى خطورة تعويله على العقل بمعزل عن الظرف الموضوعي الذي يحيط بالعقل ومعطياته:

"وفق هذا التصور للعقل الذي يلغي نقطة البدء ونقطة الهدف، يصبح جنكيز خان وهولاكو ونابليون وهتلر وموسوليني ودايان هم رسل الحضارة، وتصبح الامبراطورية الرومانية والعثمانية والامبراطورية الانجليزية والامبراطورية الامريكية واسرائيل هي أعظم أشكال

---

[١] شكري، غالي: اعترافات الزمن الخائب ١٩٨٠، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ص ١٧٢.
[٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحضارة.. وتصبح شعوب المجتمعات المقهورة عبئا على الحضارة يحسن التخلص منها كما يطلقون الرصاص على الجياد الهرمة"[١].

العقل الذي يستورده أو استورده محمود، من الوضعية المنطقية، وبغض النظر، عن فتور حماسته لهذا العقل في مرحلة متأخرة من مسيرته الفكرية، عقل يتسم بنظرة تتواضع بالعلم وبالأسلوب التجريبي لتحولهما إلى أداة أو أدوات وظيفية في عملية التجديد العقلي، وفي حالة الاعتراف بأن غاية محمود كانت أن يقدم حلا لإشكالية التخلف وأزمة العقل العربي فإن شكري يقيم هذه التجربة بصورة سلبية ومحبطة.

"العقل الذي يتمسك به الدكتور محمود ويدعونا اليه ليس أكثر من ((الأسلوب التجريبي)) الذي يمتد في ظنه من نقطة مفروضة علينا إلى هدف وليد الرغبة وحدها. والعلم الذي يتمسك به ويدعونا اليه ليس أكثر من التطبيقات التكنولوجية دون الخبرة الانسانية والمنهج الذي أثمرها والتغيرات الاجتماعية التي تواكبها. والحضارة التي يتمسك بها ويدعونا اليها ليست أكثر من الارتباط الاقتصادي والسياسي بالاحتكارات الغربية في أوروبا والولايات المتحدة"[٢].

ويتفق مع كثير مما ذهب إليه شكري، مفكر آخر ينتمي للشيوعية في الفكر العربي المعاصر، وهو محمود أمين العالم، وفي أبرز ملامح الاتفاق بين رؤيتي شكري والعالم هو الاختلاف مع محمود حول رؤيته للعقل، ويرى العالم أن محمود يحصره في زاوية محدودة لا يمكن أن يعبر عن مفهوم واسع للعقل يتيح التعمق في بنية العقل الفردي والجمعي،

"وخلاصة هذه التعريفات جميعا على تنوعها هي أن العقل والعقلانية هي عملية إجرائية خالصة بصرف النظر عن مبادئها وغاياتها، سواء كانت هذه العملية عملية استدلالية أو استقرائية؛ أي سواء كانت انتقالا من مقدمات نظرية إلى نتائج مستخلصة منها، أو شواهد ملموسة إلى نتائج مترتبة عليها. فالعقل إذن مجرد سلوك عملي يبدأ من مقدمات مبدئية مفروضة، أو من قيم أخلاقية مطلقة، وينتهي إلى أهداف مبتغاة دون أن يكون له علاقة بتلك المقدمات أو تلك الأهداف. إنه خط السير فحسب وخارطته. ولهذا فهو إلى جانب طابعه الإجرائس الخالص له طابع نفعي كذلك. فهو وسيلة أو أداة علمية لتحقيق غاية. وسلامته وصحته في مدى دقته في الوصول إلى هذه الغاية. إنها إذن دقة برجماتية نفعية. والعقل في ممارسته لإجرائيته البرجماتية النفعية هذه، إنما يمارس فاعليته في مجال العلم خاصة وفي حدود شواهد ومدركات حسية، فضلا على أنه هو نفسه ثمرة

---

[١] المرجع السابق، ص ١٧٥.
[٢] المرجع السابق، ص ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدركات حسيةويكاد هذا التحديد لملامح العقل يجعل منه عقلاً فردياً خالصاً أو على الأقل يسبغ هذه الصفات الفردية للعقل على السلوك الجمعي والاجتماعي الذي يمكن أن يتصف بالعقلانية"[١].

وفي هذا الاقتباس المطول يلتقي العالم مع شكري في رفض تنحية العقل جانبا عن السياقات التاريخية والاجتماعية، وإن تكن إشارة العالم إلى العقل الفردي أتت لتمرير نقده الشديد للعقل الجمعي والعقلانية، والحقيقة أن العقل الفردي له أيضا من سياقات الوعي وعوامل التحيز والتأثر التي تسوقه وتوجهه ما يجعله خارجا عن الدور الوظيفي الاجرائي الذي يتصوره محمود بنفس الدرجة التي للعقل الجمعي، فالعقل العلمي هو عقل منهجي وعملي يتعامل ضمن مسائل محددة وضيقة، وفي هذا يمكن أن نضرب مثالا ينتمي لعلم الاقتصاد، فمن يدرسون النظريات الاقتصادية الجزئية عادة ما يقفون أمام عبارة "بافتراض ثبات العوامل الأخرى" التي يستخدمها المؤلفون الاقتصاديون لشرح ظاهرة ما، وذلك لأنها تتيح للعقل الفردي أن يتخلص من تأثره وقياسه على الصورة الكاملة للظاهرة التي تتداخل فيه عوامل اجتماعية وذاتية، وأيضا فإن عالم الاقتصاد نفسه يستطيع أن يركز على جانب واحد من الظاهرة وفق منظوره الخاص، والأيديولوجية التي يتبناها، أما عند الانتقال لدراسة الظاهرة ضمن إطارها الديناميكي المتحرك، فإن العوامل الأخرى تفرض نفسها وهي عادة العوامل الاجتماعية والذاتية، ولذلك أصبح علم الاقتصاد موضوعا خصبا لرصد التحيزات لدى العلماء والباحثين بما يفارق أحيانا قواعد المنطق السليم، ويندرج تحت باب التعميم الزائد عن الحد وغير القائم على قواعد ثابتة، وليس مستغربا، أن يكون نقد الماركسيين العرب للعقلانية أو وظيفة العقل أو تعريف العقل لدى محمود، قائما على نظرتهم إلى عزلة هذه النظرية عن الواقع الاجتماعي والتقدم التاريخي الذي انبنى عليه هذا الواقع، فالظواهر الاجتماعية لا يمكن إلى حد كبير أن تحاصر بطريقة مخبرية مثل كثير من الظواهر العلمية، وجميع الوسائل الاحصائية والرياضية المستخدمة في العلوم الإنسانية ليست سوى وسائل مساعدة لشرح الظاهرة أو فهمها، ولكنها لا يمكن أن ترقى بأي نظرية اجتماعية أو نفسية إلى مرتبة القانون العلمي المحكم.

وفي صورة أكثر شمولية لموقفه من الوضعية المنطقية يوضح العالم أن ما يقدمه محمود حول هذه المدرسة أو الفلسفة التحليلية بشكل عام كتعبير عن الفلسفة المعاصرة مسألة فيها الكثير من التجاوز وربما المصادرة، فهو يرى أنها "تمثل فحسب جانبا ضيقا للغاية من الفكر الفلسفي المعاصر، يعبر عنه حفنة من المفكرين في أمريكا وانجلترا ولا تكاد تتنفس منه نبضة صادقة

[١] العالم، محمود أمين: الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ١٩٨٦، دار الثقافة الجديدة – القاهرة، ص ٧٥٦ – ٧٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحدة عما في حياتنا الإنسانية المعاصرة من إيجابية وجهود مبذولة من أجل التقدم"[١]، ويستطرد العالم مبينا انتفاء الطبيعة الثورية عن الوضعية المنطقية بل ويعتبرها "ارتدادا نحو أشد عصور الفكر الإنساني ضحالة وجدبا" و"تعبيرا عما يعترض تقدمنا البشري من عقبات وعراقيل"[٢]، ويستغرب العالم من الفلسفة بعد أن تترك كثيرا من شأنها للعلماء، وتتجرد من الميتافيزيقا لتحيل قضايا المبادئ العامة والنظرات الشاملة والسعي وراء الحقيقة إلى لغو فارغ، وتنسحب من العالم الخارجي تحت دعوى الصدق، وبالتالي لا يتبقى منها سوى التحليل اللغوي، ويصل العالم إلى نتيجة مفادها أن الفلسفة على هذه الشاكلة لا تعجز عن أداء دورها وإنما تشكل تعطيلا لإمكانية فهم العالم وتفسيره والتعامل معه بناء على ذلك.

"وبهذا تماما يستحيل العالم الطبيعي والإنساني على السواء إلى طائفة من العناصر غير المترابطة التي لا يجمعها نسق موحد، ولا يدفق في كيانها مفهوم عام، ولهذا تماما تتساقط المبادئ العامة والمفاهيم الشاملة التي اكتسبتها الإنسانية خلال تمرسها الطويل بالحياة وخلال نضالها من أجل المعرفة والتقدم؛ وبهذا تماماً لا يكون ثمة موجود حقيقي إلا ما هو جزئي محسوس، وبهذا تماماً تنعدم الحقيقة الموضوعية الشاملة ويصبح المدرك الحسي الجزئي هو الحقيقة الوحيدة وبهذا تماما يفقد العقل البشري فاعليته التأليفية الإبداعية، ويستحيل مبضعاً بارداً للتحليل والتشريح اللغوي المجدب.."[٣].

وبطريقة مغايرة لشكري فإن العالم يتوصل إلى إدانة أخرى لمشروع محمود الفكري، فهو لا يراه ميكيافيليا في ذائقته ومتجردا عن الأهداف والغايات، ولكنه يراه توفيقيا بصورة تقدم الإطار الفكري للتوفيقية السياسية التي سادت في مصر بنهاية السبعينيات بعد اتفاقية كامب ديفيد ويضعه مع غيره ممن أخذوا موقفا ايجابيا من اتفاقية السلام في كامب ديفيد بمثابة العرابين الفكريين لهذه الوضعية التي أفرزت سياسات توفيقية لا تقدم حلولا واقعية أو جذرية، وبرأيي، أن العالم يعتبر الوضعية المنطقية تمييعا للموقف الفلسفي، والفكري ككل، ليصبح دور الفلسفة منحصرا في هامش محدود يحول دون أن أدائها لأية أدوار أخرى، اجتماعية، على وجه الخصوص.

"على أن هذه الأيديولوجية التوفيقية المخادعة المخاتلة على المستوى السياسي، تتغذى بالأيديولوجية التوفيقية في تجلياتها الفكرية والاجتماعية المختلفة في حياتنا العربية. وما أكثر

---

[١] العالم، محمود أمين: معارك فكرية ١٩٦٥، دار الهلال – القاهرة، ص ١٦.
[٢] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثنائيات المعبرة عن هذه الأيديولوجية: العقل والنقل، العقل والقلب، الشرق والغرب، الأصالة والمعاصرة، التراث والتجديد إلى غير ذلك من الثنائيات أو العكازات التي يتوكأ عليها العجز العربي، فتدور به وتدور وتدور حتى يصيبه الدوار والبوار، ولا يدرك ما ينسج له وراء هذه الثنائيات التوفيقية من فخاخ الاستغلال والتبعية والتخلف والتغرب والتمزق والضياع!"[١].

انطلق مهدي عامل في كتابه "أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازيات العربية" من نقد مقولات التطور الحضاري، التي اعتبرها محمود مجالا فكريا لأعماله، فهو يضع تحت مبضع التشريح والنقد كلا من مفهومي "التطور" و"الحضارة"، ويتشاكل لديه طرح محمود للتطور، أو واقع التخلف، الذي يراه مرتبطا بالتراث والعقل دون أن يمضي إلى الوقوف على مسألة الصراع الطبقي التي تعوق الانتقال من نمط انتاجي إلى آخر، وأختلف مع عامل في رؤيته للصراع الطبقي كعائق أمام التطور، وأرى أن عدم نضوج التشكل الطبقي للمجتمعات العربية، هو أحد عوائق التقدم، فالطبقة ليست مجرد شريحة اجتماعية تقوم على تباين الدخول ولكنها تدلل أيضا على الفئات مثل العمال والفلاحين بمعنى الجماعات الوظيفية، إلا أن ذلك التصور لا ينفي أن محمود لم يكن واضحا في استخدامه لمفاهيم مثل التطور والحضارة، اللذين يذهب عامل إلى أن استخدامهما في سياق فكر محمود وآخرين، يمثل "بشكل خفي، انزلاق الفكر من صعيد التحليل العلمي إلى صعيد التضليل الأيديولوجي"[٢]، وينتقد عامل المنطق الوضعي الذي يعتمد على النظر لحركة التاريخ على أساس أنها حركة خطية مستمرة واحدة في سيرها الصاعد أو المتقدم، ويصل عامل إلى أن ذلك يؤدي إلى الاعتماد على مقياس كمي للحضارة، الأمر الذي يقود في النهاية إلى تقرير التخلف العربي اقترانا بالتقدم السائد في الغرب، والحل هو أن تتجاوز الحضارة العربية أزمتها باتباع النموذج الغربي.

في الوقت الذي يعلن فيه عامل توجهه إلى نقد المنطق الوضعي فإنه ينطلق إلى انتقاد عدم قدرة محمود على الالتزام بذلك المنطق ومتطلباته ابتداء من التحديد الدقيق للمصطلحات، ففي معالجته لمفهوم الحضارة فإنه يضع صفاتها ضمن إطار "ما يتفق عليه الناس" وينطلق من هذه النقطة وكأنه استوفى الدقة العلمية في بناء تصور للحضارة، ويتوجه عامل إلى أن الاتفاق هو ما تحمله طبقة معينة من رأي، وأن الرأي السائد ليس هو المعرفة، ويمضي عامل إلى حوار مع

---

[١] العالم، محمود أمين: الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ١٩٨٦، دار الثقافة الجديدة – القاهرة، ص703 – 702.

[٢] عامل، مهدي: أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوزايات العربية ١٩٨٧، دار الفارابي – بيروت، ص ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرؤية الأخرى بمعنى الرؤية الماركسية لأطروحات زكي نجيب محمود دون أن يلبي معرفيا أية إجابة لعنوانه في نقد العقل الوضعي.

ثمة مشكلة كبيرة تظهر في تناول الماركسيين العرب لأفكار محمود الفكرية والفلسفية وهي أنها انصرفت للتعامل مع مقولات محمود في مسألة الحضارة والتقدم وثنائياته في التقدم والتخلف والتراث والمعاصرة وغير ذلك دون أن تمضي لإثراء النقد الفكري لمفاهيم الوضعية المنطقية ومبادئها، ويمكن أن توصف هذه الحالة بأن النقد توجه إلى النتائج التي توصل لها محمود دون أن يذهب للأسس التي قام بها محمود ببناء تصوره عليها، وهذا التوجه النقدي قام به عاطف أحمد موسعا في كتابه "نقد العقل الوضعي.. دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود" حيث مضى إلى تقصي "برجوازية" الوضعية المنطقية، وعلى أهمية أن تدرس الأفكار التاريخية ضمن سياقها الاجتماعي والسياسي إلا أن ذلك لا يصح مدخلا لنقد مقولاتها وخاصة في مجال مثل المنطق، والقفز عن مناقشة هذه المسألة مرده إلى قناعة بأن ما يستخلص من نماذج وأفكار يمكن أن يكون انتقائيا ولكن مناقشة النتائج وخاصة فيما يتعلق بالبنية المنطقية يجب أن يتم بمعزل عن جميع المؤثرات الأخرى.

هل كان ممكنا أن تحظى الوضعية المنطقية بذلك الاهتمام لو لم يكن من حمل رايتها شخصية في مكانة محمود؟ فمحمود لم يكن أكاديميا مرموقا وحسب، ولكنه حظي باهتمام واسع بصفته صاحب مشروع نهضوي، واستطاع أن يوظف منابر مهمة لنشر أفكاره، موقعه الجامعي، وبجانبه الكتابة في صحيفة الأهرام الأعرق والأكثر ذيوعا في مصر، وهل يمكن ربط الظروف السياسية التي حشدت الحالة المصرية والعربية تجاه الغرب متمثلا في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بردة الفعل المناهضة للوضعية المنطقية، هذه أسئلة يمكن أن تطرح نفسها بقوة من خلال مواقف الماركسيين العرب تجاه فكر محمود ومشروعه، ولكن الإجابة عليها تبقى متعذرة لأنها تستلزم تفتيشا في النوايا والضمائر أو تأويلا مفرطا في ثنايا ما كتبه الماركسيون العرب في الأمثلة السابقة، إلا أن مواقفهم تبقى مؤشرا قويا إلى أن كثيرا من النقد الذي جرى توجيهه للوضعية المنطقية لم يكن منفصلا عن النقد الذي جرى توجيهه لمشروع محمود الشمولي وبمختلف مراحله، ويمكن أن يعتبر محمود بطريقة أو بأخرى ممثلا للنخبوية العربية السائدة، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون وثيق الصلة بتقييم آرائه الفكرية والفلسفية.

النقطة الأخيرة فيما يتعلق بالخلاف بين الماركسيين العرب وزكي نجيب محمود من حيث هو ممثل للوضعية المنطقية وصاحب مشروع نهضوي خاص، هي العلاقة بين التراث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعاصرة، فهي من وجهة نظر الماركسيين تتعلق بقانون نفي النفي الديالكتيكي بحيث لا يمكن الانتقال من الوضع القائم إلى الحداثة المنشودة دون أن يتم استيعاب التراث، وليس إحداث القطيعة معه كما ذهب محمود في مرحلة مبكرة، وحتى محاولة التوفيق بين التراث والمعاصرة في مرحلة لاحقة لم تكن لتتسق مع مبادئ الرؤية الديالكتيكية الماركسية فهي تعتبر تجميدا قسريا لحركة التاريخ وصراع الأضداد في داخله من خلال الوقوف على حلول وسط وتسويات غير ممكنة، وفي النهاية فإن الصراع سيظهر للوصول إلى مركب جديد يعبر عن حركة التاريخ.

ضمن مناهضي الوضعية المنطقية يبزغ أيضا أحد الأكاديميين المبرزين في مجال الفلسفة في الساحة الفلسفية العربية، وهو يحيى هويدي، الذي تصدى في منتصف الستينيات لتأليف كتابه "ما هو علم المنطق.. دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية"، ويمكن ملاحظة أن نقد هويدي يتصف أولا بالتوسع في الفهم التاريخي لتطور المنطق والفلسفة المعاصرة، كما أنه مطلع جيد على الوضعية المنطقية ويدرك التمايز بين الوضعيين المناطقة وهو يصنف زكي نجيب محمود ضمن التيار الأقرب لآير الذي تبنى الرأي بأن محل الصواب في العبارة اللغوية هو الخبرة الحسية خلافا لما ذهب له نيوراث وهمبل وكارناب في أن الحق والحقيقة لا يقفان عند المنطق والرياضيات، وإنما يمتدان للعلوم التجريبية من خلال دراسة علاقات الاتساق بين الجملة/ القضية والمجموعة الرمزية التي توضع فيها وتكون جزءا منها[١]، وذكرنا في موقع سابق من هذه الدراسة موقف آير من نظرية الاتساق بحيث يراها مقحمة على الوضعية المنطقية، واستغرب أن يتبناها نيوراث أحد المؤسسين للوضعية المنطقية.

الملاحظة الأساسية أن هويدي لا يتوجه في نقده إلى الوضعية المنطقية فقط، وإنما يعتبرها مع الذرية المنطقية، كيانا واحدا، فيستخدم تعبير الذرية الوضعية المنطقية، وتعبير المناطقة الوضعيين الذريين، ويعود في مرات أخرى ليفصل بين الذرية المنطقية والوضعية المنطقية، كما أنه لا يتعامل معه بحسب ما ذهبوا إليه من رفض للفلسفة والميتافيزيقا، ولكنه رآهم يمارسون التفلسف بصورة أوبأخرى في سياق محاولتهم التملص من الفلسفة وحصرها في الجانب المنطقي الضيق، ويؤكد أنهم تفلسفوا في محاولتهم الابتعاد عن الفلسفة[٢]، وفي معرض مناقشته لرفض الوضعية المنطقية لمناقشة مفهومي الوجود والعدم، واعتبار ذلك خارجا عن نطاق المعارف الممكنة، فإنه يرى أن الوضعيين في إطار إثباتهم لذلك مارسوا التفلسف أيضا.

---

[١] هويدي، يحيى: ما هو علم المنطق؟ ١٩٦٦، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ص ٣٠ –٣١.
[٢] المرجع السابق، ص ٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"بل إني أزعم أن المناطقة والوضعيين الذريين بحثوا في هذه المسائل بطريقة غير مباشرة، بالرغم من إنكارهم الخوض فيها. إنهم بحثوا فيها بوجهها المنطقي، في صورة الحدود والقضايا. ولكنك عندما تكشف هذا القناع المنطقي، ستجد نفسك أمام فلاسفة حقيقيين أصلاء، يستحقون التقدير والإكبار من هذه الناحية، سواء وافقناهم على آرائهم أو لم نوافقهم"[١].

وما نلحظه أن هويدي يثبت بصورة أو بأخرى أن الوضعيين المناطقة قاموا بدور مكمل للفلاسفة الذين حاولوا أن يثبتوا العدم في نسيج الواقع الموضوعي – سارتر تحديدا - بمحاولتهم إثبات العدم موضوعيا في داخل الوجود المنطقي اللفظي، ويمكن أن نرى فيما قدمه هويدي في كتابه المذكور ذلك النفس الفلسفي في الوضعية المنطقية حين تبرز إمكانية الوجود المنطقي حتى لو أتى متعارضا مع الوجود الواقعي، بحيث يكون الكون المنطقي مفترقا عن الوجود الواقعي، وهو ما يطلق عليه الوجود الثبوتي (المنطقي) مقابل الوجود الشيئي (الواقعي)، ولا يوافق هويدي على القول باستقلال القضايا المنطقية بمعنى قطع العلاقات، ولكنه يرى أن ذلك الاستقلال يحول دون وجود ديالكتيك متحرك دائما بين القضايا المنطقية والواقع، وبالبدء من المنطق والحرص على قبول نتائجه ما دامت متماسكة ومتسقة مع المقدمات ولاحقا يمكن أن يبدأ الاهتمام بمسألة الصدق في المنطق[٢]، وهي الخطوة التي نرى أن نيوراث اعتمد عليها في اتجاه تبني نظرية الاتساق في الحقيقة.

إن الإغراق في المنطق من حيث هو قضايا وعلاقات، والإفراط في التحليل، يولدان الخلاف بين الوضعية المنطقية وبقية التيارات الفلسفية، وهذا يدفع هويدي لأن يحدد وجه الخلاف ويتساءل وينتقد بعد أن عرض لأفكار الوضعية المنطقية والتطور التاريخي للمنطق على النحو التالي:

"فالقضية التي بيننا وبين المناطقة الذريين الوضعيين – كما ترى أيها القارئ – هي القضية الآتية. هل علم المنطق لغة للتخاطب السري بين مجموعة من الناس؟ أم أنه علم للتخاطب العام وللفهم المشترك بين كل الناس؟ إن علم المنطق – كما كان يقول أسلافنا العرب – به وجه حاجة للناس، أي أنه علم مفيد للمجموع. لا يمكن أن تتحقق هذه الفائدة إلا إذا أصبح لغة للتخاطب والفهم بين جميع الناس"[٣].

---

[١] المرجع السابق، ص ٣٩.
[٢] المرجع السابق، ص ٤١ – ٤٢.
[٣] المرجع السابق، ص ٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن أن يتم تفهم هذا الموقف من خلال المشروع الفلسفي ليحيى هويدي الذي نميل إلى أنه كان معنيا بوجود قاعدة شعبية للفلسفة وأن تتحول الفلسفة إلى موضوع يمكن أن يكون مفهوما للعامة، فهو صاحب كتاب "الفلسفة في الميثاق" والذي لا نراه تزلفا للرئيس عبد الناصر الذي قدم ميثاق العمل الوطني سنة ١٩٦٢ وإنما محاولة منه للبحث عن فرصة في أجواء الميثاق الذي تسيد الاهتمام في تلك المرحلة لدمج الفلسفة ضمن برامج الثقافة الجماهيرية، بحيث تصبح في متناول الجميع.

ويذهب يحيى هويدي لتصوير جهود الوضعية المنطقية التي يمكن وصفها من خلال قراءة تصوره إلى أنها أتت منطقا من أجل المنطق، على شاكلة الفن من أجل الفن، ففصل المنطق عن الواقع، وفق ما يراه، لا ينم عن ضرورة، ويجرد المنطق حتى من قيمته الصورية، ويجعله ينصرف إلى لغة رمزية لا تؤدي إلى أي فائدة أو قيمة.

"إن البحث عن القضايا عند المناطقة الوضعيين بحث في عملات ورقية ليس لها غطاء ذهبي. ولا أقصد بالغطاء الذهبي الواقع، لأنه وإن كان في نظرنا هو الغطاء الذهبي الحقيقي للحقيقة المنطقية، إلا أنه بعيد جدا عما يريده أصحابنا للمباحث المنطقية. بل أقصد بالغطاء الذهبي للقضية هو معناها الصوري، مدلولها الذي من أجله سميت قضية، أي مقضي فيها أو لأنها قاضية بحكم ما، قاضية بوقوع نسبة بين طرفي الحكم. هذا الغطاء الذهبي لا وجود له عند المناطقة الوضعيين. لأن القضية عندهم رموز لا مرموزات لها. رموز تولد رموز أخرى وحسب. رموز معلقة في الهواء، رموز في عالم الممكن المنطقي"[١].

والممكن المنطقي كان مجالا واسعا لنقد هويدي، فهو يميز بين مبدأ التحقق ويراه مبدأ إمكانية التحقق على وجه الدقة، ويرى فارقا كبيرا بين الممكن واقعيا، والممكن منطقيا، فوجود العنقاء مثلا هو ممكن منطقيا، على الرغم من استحالته الواقعية، فالتصديق لديهم ليس مرتبطا على الإطلاق بوقوع الحكم أو عدم وقوعه في الخارج فذلك يعتبر مدلولا للمطابقة في حالة الخبر، والتصديق لدى الوضعية المنطقية ينحصر في تلازم النسبة بين طرفي الحكم[٢].

وهكذا يرى هويدي أن الوضعية المنطقية أخفقت في تحقيق التقدم المأمول في المنطق من خلال تقديمه للكتاب الذي وضعه كمقدمة في فلسفة المنطق، كما أنه تجدر الإشارة إلى أن النقد الذي وجهه هويدي يتسم بالنضج والتركيز على الوضعية المنطقية نفسها، وليس على آراء زكي

---

[١] المرجع السابق، ص ٦٣.
[٢] المرجع السابق، ص ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجيب محمود، وهو يعلن أن كتابه محاولة متواضعة لفهم الفلسفة "الذرية الوضعية المنطقية" وليس لفهم مذهب زكي نجيب محمود[١].

هذه الروح النقدية لم تتوافر لدى ماهر عبد القادر محمد علي الذي وضع كتابا بعنوان "خرافة الوضعية المنطقية" ليحمل فيه على الفلسفة العلمية بشكل عام، ويعترف في مقدمته بأن عنوان الكتاب ترك عالقا حتى اللحظة الأخيرة إلى أن استقر على العنوان الذي صدر به، ويتصور القارئ قبل أن يتعامل مع مادة الكتاب أنها قامت على تفنيد أو حتى مناقشة آراء زكي نجيب محمود ولكنه أتى استعراضا لآراء مجموعة من المشتغلين بالفلسفة في الفلسفات العلمية ومنها الوضعية المنطقية وكذلك الماركسية والظاهراتية، ويقسم عبد القادر مراحل تطور مفهوم الفلسفة العلمية في الفكر العربي إلى ثلاثة:

الأول – المرحلة المبكرة مع أبو العلا عفيفي الذي كان أول من وضع مصطلح الفلسفة العلمية في اللغة العربية موضحا إلى أي حد يمكن للفلسفة أن تواكب العلم وتستفيد من نتائجه واكتشافاته في مواقفها.

الثاني – مرحلة انتشار المصطلح على يد زكي نجيب محمود من خلال مؤلفاته "خرافة الميتافيزيقا" و"نحو فلسفة علمية" و"المنطق الوضعي" ليشيع المصطلح بين المثقفين العرب، إلا أن عبد القادر يرى أن محمود لم يتمكن من تقديم جديد غير ما قدمته حلقة فيينا، كما أن منطقه الوضعي لم يكن اختراعا، وإنما تقرير لبعض قوانين المنطق لدى جورج بول ودي مورجان ورسل وفريجه وبيانو، وأنه "ليس إضافة جديدة يتوج بها الفلسفة العلمية. إنه بتعبير منطقي تحصيل حاصل، أو كما يحلو للوضعيين القول دائما ((لغو)) لا طائل تحته، أو كلام فارغ"[٢].

هذا الرأي على قسوته، وربما عدائيته، تجاه زكي نجيب محمود، يجب التوقف عنده حيث يعتبر عبد القادر من المشتغلين المحترفين في دراسة المنطق وتطوره، وله العديد من الكتابات التي قدمت رؤية معمقة للنظريات المنطقية، ومع ذلك، نختلف فيما ذهب إليه حيث نعتبر "المنطق الوضعي" أحد الكتب التي انطوت على إضافة مهمة، وعلى قدر من الأصالة للمكتبة المنطقية العربية.

---

[١] المرجع السابق، ص ٣١.

[٢] علي، ماهر عبد القادر محمد: خرافة الوضعية المنطقية(١٩٩٤)، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، ص ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثالث – مرحلة النقد التي كشفت واضطلع بها بعض المفكرين الذين اكتشفوا ((ضحالة)) الفلسفة العلمية.

ويرى عبد القادر أن أقصى ما توصل له نقد مصطلح الفلسفة العلمية هو أنه دعوة لتجميد الواقع ذاته أو أنه دعوة إلى لا أدريةجديدة داخل الفلسفة، إلا أنه يرى أن هذه الأراء لم تبرهن بشكل قاطع على فساد المصطلح تماما، ولم تتخذ موقفا حاسما من الفلسفة العلمية كفكرة، ولكنها حاولت تقليص نفوذها، وحول مصائر الوضعية المنطقية فإنه يراها انسحبت من ساحة الفكر بعد خيبة أمل، وبعد أن اتجه أعضاؤها في الغرب للخوض في الميتافيزيقا حتى النخاع، ولكن عبد القادر لا يقدم أمثلة تدلل على وجهة نظره، وفي حالة جرى الاتفاق على ما ورد في الشق الأول حول خيبة أمل الوضعية المنطقية فإن التسليم بأن أعضاء هذه المدرسة اتجهوا إلى الميتافيزيقا حتى النخاع أمر غير ممكن.

في جانب آخر وفي جيل المشتغلين المعاصرين بالفلسفة أتى كتاب الدكتورة يمنى طريف الخولي "فلسفة العلم في القرن العشرين" سنة ٢٠٠٠ ليقدم معالجة واسعة للوضعية بشكل عام، والوضعية المنطقية في ذلك الإطار، وتنظر الخولي إلى الوضعية المنطقية على أساس أنها "المسؤولة عن كل تطرفات وجنوحات التيار التحليلي"[١] حيث أنها أحالت الفلسفة إلى مجرد تحليل منطقي للغة العالم التجريبي وحتى اللغة الجارية، متجاوزة للمفاهيم التي طرحها فتجنشتين، وفي المقابل فإن الخولي ترى أن الوضعية المنطقية لم تشكل فقط إضافة للفلسفة التحليلية ولكنها استطاعت أن تستوعب الفلسفة العلمية السابقة عليها والتي أخذت تتجمع وتتكثف في الوضعية المنطقية، ولكنها تعزو إلى ذلك مسلكا متطرفا نحت إليه الوضعية المنطقية، ومحاولة لاحتكار دور الفلسفة العلمية الوحيدة.

"وإذ تستجمع الوضعية المنطقية كل المد السابق في فلسفة العلم، فإنها – بغرور قاصم – تكثفه وتحوله إلى بؤرة تشع نورا ساطعا ونارا تحرق ما حولها. وفي إصرار على الإنفراد بفلسفة العلم التي رأوها ينبغي أن تكون الفلسفة برمتها، اتخذت الوضعية المنطقية اسم ((التجريبية المنطقية)) بـ ((ال)) التعريف، وكأن ما سواها من فلسفات العلم لن تكون هكذا!"[٢].

وعلى الرغم من أن الخولي ترى الفلسفة العلمية هي التجريبية فقط التي تمتد وتتطور قدما منذ فرنسيس بيكون، إلا أنها تلقي الضوء على طبيعة التنافس حول تأسيس فلسفة علم جديدة

---

[١] الخولي، يمنى طريف: فلسفة العلم في القرن العشرين ٢٠٠٠، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، ص ٢٨١.
[٢] المرجع السابق، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمرحلة ما بعد النظرية النسبية، فالفلسفة وجدت نفسها في مأزق جديد بعد أن استوعبت الثورة النيوتونية سابقا، وكانت محاولة توظيف النسبية من قبل حلقة فيينا تصب في إطار تأسيس مشروع فلسفة علمية، وشليك كما تشير الخولي كان من طليعة شراح النظرية النسبية ومفلسفيها في ألمانيا.

في تقديمها للوضعية المنطقية تنوه الخولي بأن هذه الفلسفة لم تتركز حول قطب أو رأي مهيمن، وهو الأمر الذي كان من الممكن أن يتغير لو أن فتجنشتين مثلا انخرط في أعمال حلقة فيينا، وإنما كانت تمثل في تشكيلها عملا جماعيا اتفق واختلف أعضاؤه وإن بقوا متحلقين حول بنية قوامها العناصر التالية

"أولا: الفلسفة تحليلية.

ثانيا: الفلسفة علمية.

ثالثا: القضية إما تحليلية وإما تركيبية.

رابعا: الميتافيزيقا لغو.

خامسا: معيار التحقق سيمانطيقيا، ولغة العلم سينتاطيقيا لتمييز المعرفة العلمية"[١].

وبواسطة هذه المبادئ وصلت الفلسفة إلى اللا فلسفة، فجميع حقولها استبعدت الواحد تلو الآخر وألحقت بالعلم، وما تبقى منها كالعلوم المعيارية والميتافيزيقا يتحول إلى لغو لا طائل منه، وتقدم الخولي موقف الوضعية المنطقية من العقل حيث حصرته في العلم كنشاط عقلي وحيد، وهو الأمر الذي لم يكن ممكنا قبل أن يقدم راسل بالاشترك مع وايتهيد كتاب " Principia Mathematica"، الذي أثبتا فيه أن الرياضيات ليست إلا امتدادا للمنطق وهي مثله تحصيل حاصل ولا تأتي بجديد عن الواقع، وبالتالي تطرفت في رؤيتها التجريبية حيث أنهت العلاقة بين الرياضيات كعلم صوري متصل بالواقع.

إن التقدم الذي أحرزته الوضعية المنطقية في مجال التحليل والعبارات أوصلها إلى مأزق مع محاولتها احتكار دور الفلسفة العلمية، حيث فتحت جبهة للمواجهة مع بقية التيارات الفلسفية السائدة، ومن أهمها الماركسية التي استطاعت أن تؤثر في التيارات الفلسفية السائدة وخاصة الوجودية مع سارتر إلا أن الماركسيين نظروا إلى الوضعيين المناطقة كـ "ثبوتيين رجعيين تعمل

---

[١] المرجع السابق، ص ٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحليلاتهم المنطقية على تسكين الأمر الواقع والحيلولة دون الثورة والتغيير"[١]، وفي المقابل فإن الخولي تبرز الإيجابيات التي أضافتها الوضعية المنطقية المتمثلة في تحويل فلسفة العلم إلى نشاط فني احترافي دقيق ومرموق[٢]، وهو ما يجعلها تصنف الوضعيين المناطقة كتنويريين أخرجوا الفلسفة من الغموض والإلغاز إلى الدقة والوضوح، ومن هذه النقطة تنتقل إلى تجربة زكي نجيب محمود، وترى أن الوضعية المنطقية حظيت بما لم تتحصل عليه أي فلسفة أخرى في الوطن العربي، وذلك من خلال نصير متحمس تبناها بالكامل كهوية فلسفية، وتؤكد الخولي بأن الوضعية المنطقية كانت مع محمود "رسالة تنويرية وسبيلا إلى صحوة عربية، بتوجيه الأنظار إلى الواقع بدقة وصرامة المنهج العلمي"[٣].

وخلاصة القول أن الخولي رأت في الوضعية المنطقية على تطرفها في الأخذ بالتجريبية والتحليل المنطقي إحدى الأدوات الضرورية للتنوير عن طريق ما يمكن أن يأخذ منها لتعزيز دور الفلسفة العلمية ومنهجها ومنطقها في الفكر العربي الأمر الذي من شأنه أن يوظف لمحاربة الغيبية والخرافة المسيطرة على الثقافة العربية.

من جانبه يواجه علي زيعور الوضعية المنطقية، أو الوضعانية المحدثة كما يسميها، بالتراث المنطقي العربي، فيرى أن هذا التراث، في جانب منه، والمستمد من التراث الفقهي الإسلامي "تحدى طموحات الوضعانية في محاولتها لجعل المنطق كل الفلسفة، ولتضخيم المنطق تضخيما يغدو، عند القاع، تقزيما للمنطق عينه وللفلسفة أيضا"[٤].

إلا أن هذه الرؤية تفترض أن الوضعية المنطقية واجهت في الوطن العربي بيئة خصبة ومشبعة بالنضج الفكري الذي يسمح بموضعة المنطق العربي في مواجهتها وهي المدرسة التي جعلته مركز نشاطها الفلسفي، فالمنطق العربي متوقف منذ فترة زمنية طويلة تسبق الوضعية المنطقية كما أن الإشارة إلى الجانب الأصولي (الفقهي) في المنطق هي إشارة جديرة بالاهتمام ولكنها تسقط وعيا حديثا على موضوع قديم، ويمكن على هذا النحو التورط في العديد من الإشكاليات التي لن تتوقف عن اعتبار الترجيح في الفتاوى بمثابة الاحتمالية التي قال بها ريشنباخ، أو اختتام الفتوى بالله أعلم مقابلا للمنطق ثلاثي القيم وإن يكن بصورة أخرى، وعليه فإن الوضعية

---

[١] المرجع السابق، ص ٢٩٦.
[٢] المرجع السابق، ص ٢٩٧.
[٣] المرجع السابق، ص ٢٩٨.

[٤] زيعور، علي: قطاع الفلسفة الراهن في الفلسفة العربية في الذات العربية ١٩٩٤، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر – بيروت، ص ٢٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت في بيئة خالية ليس من التجديد وحسب، وإنما من محاولات البعث الجدية للفلسفة والمنطق العربي، وإن يكن ما أحدثته الوضعية من صدمة كما يذهب زيعور ممكنا، ويصبح الخلاف معه حول رؤيته لتمكن سماكة القطاع المنطقي من امتصاص هذه الصدمة، بل ويرى زيعور أن "قطاع المنطق في الخطاب الفلسفي الراهن، دخلن وإستدخل المصطلحات الوضعية والتحليلية: دجنها وروضها بحيث صارت ((محلية))، ومن ((البيت))، ومحركة مغذية أو مؤججة مثمرة"[١].

ويبدو أن زيعور يتحدث عن قطاع بالغ المحدودية إن لم يكن مجهريا، وهذا التيار يمكن أن ينحصر في زكي نجيب محمود وبعض تلامذته مثل فؤاد زكريا وعزمي إسلام وأميرة حلمي مطر ومحمود فهمي زيدان على النحو الذي يذكره في أحد هوامشه، ويرى أن التيار الذي انتقد الوضعية المنطقية كان ينطلق من الانفعالية والغضب ضد تقزيم الفلسفة، "فكأن الوضعانية العربية إعتدت على ((كرامة)) الفلسفة، أو كأن ذلك الجرح النرجسي بدا مؤلما بحيث دفع العاملين عندنا في مجال الفعل الفلسفي، في مجال البعد التأملي والمنزه للعمل أو البعد النظراني الصرف، إلى الاهتياج السوداوي"[٢].

في دفاع متحمس عن الوضعية المنطقية وكيل الاتهامات لمناهضيها والمبالغة في استخدام اللغة الجمالية، يلقي زيعور من خلال نموذجه الضوء على الذهنية العربية التي عادة ما تصطف "مع" أو "ضد"، وكأن المطلوب هو تحديد المواقف تجاه كل موضوع، وليس دراسته بغض النظر عن ضرورة تقديم كشف حساب عنه.

---

[١] المرجع السابق، الصفحة السابقة.
[٢] المرجع السابق ص ٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتـمة

لـم تكـن هـذه الدراسـة لـتلم بموضـوع الوضـعية المنطقيـة بصـورة كاملـة أو شـاملة، وإنمـا اجتهـدت للقيـام بـالقراءة والتأويـل المعقـول ضـمن أوراق الوضـعية المنطقيـة فـي الـوطن العربـي، ووصـلت إلـى بعـض النتـائج بخصـوص تعـاطي الفكـر العربـي المعاصـر مـع الوضـعية المنطقيـة كنموذج لتعامله مع مختلف المدارس الفلسفية والاتجاهات الفكرية السائدة في العالم، بما يندرج ضمن رؤية الفكر العربي للآخر، واستعداده للقبول به والإفادة منه، وهو الموضوع الواسع الذي يتطلب أن توضع مجموعة من الدراسات التي عالجت مسألة الفكر العربي حيال المدارس الفكرية في الغرب، على اختلافها وتباينها، وما يظهر من سياق هذه الدراسة، وضمن الإطلاع على دراسات وأعمال أخرى، أن سلوك الفكر العربي يتخذ مواقف متشابهة لدى تعامله مع أي اتجاه فكري ينتجه الغرب على وجه الخصوص، وتمضي النخب الأكاديمية والفكرية والثقافية في حوار مطول يدور (حول) هذا الاتجاه أو ذاك، دون أن تقيم حوارها (في) الاتجاه موضوع الخلاف، وأحيانا التنازع.

من الاستعراض السابق لرحلة الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر، والآراء والمواقف التي تبناها المشتغلون بالفلسفة يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النتائج:

١. إن كثيرا ممن تعرضوا للوضعية المنطقية بالنقد السلبي الذي وصل إلى الحط من قيمتها قاموا بذلك بناء على مواقف من مشروع زكي نجيب محمود الفكري، وليس الفلسفي، وأنهم انصرفوا لمناقشة محمود في آرائه في التراث والمعاصرة وبين ثنايا ذلك توجهوا لانتقاد الوضعية المنطقية كلما أتيح لهم ذلك، وتظهر هذه النبرة الانفعالية لدى الماركسيين والمتدينين من المشتغلين بالفلسفة والفكر، أما التيار الذي تعرض للوضعية المنطقية على أساس علمي وموضوعي ومنهم محمود أمين العالم وياسين خليل وأحمد ماضي ويحيى هويدي ويمنى طريف الخولي فتمكنوا من الخروج من ورطة الخلط بين زكي نجيب محمود كممثل للوضعية المنطقية والوضعية المنطقية كاتجاه فلسفي، واستطاعوا أن يبينوا الايجابيات والسلبيات التي يمكن فرزها في الوضعية المنطقية، وأخيرا أضر بالوضعية المنطقية من وقفوا يدافعون عنها وأخذوا دور الدعاة وحملوها بوعود لم تدع أنها تستطيع إنجازها أو أنها غير قادرة على ذلك، ومنهم محمد مرحبا وعلي زيعور، فالوضعية المنطقية ليست الفلسفة التي تزعم بأنها تقدم حلولا أو برنامجا لتغيير العالم، هي فلسفة حاولت أن تكون فلسفة علمية وأي قراءة خارج ذلك الإطار لن تصل إلى فهم حقيقي للوضعية المنطقية وبالتأكيد ستحول دون الإفادة منها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. جرى الربط بتعسف كبير بين زكي نجيب محمود والوضعية المنطقية الأمر الذي أدى إلى غياب قراءة الرجل كفيلسوف حاول أيضا تقديم البرغماتية للفكر العربي دون أن ترتبط بالتصور السلبي الذي حمله كثير من المشتغلين العرب بالفلسفة والفكر للبرغماتية على أساس أنها امتداد للميكيافيلية السياسية، ولاحقا أصبحت البرغماتية وكأنها الأساس الجذري والفكري لتيارات الليبرالية الجديدة.

٣. استقبال الفكر العربي المعاصر للوضعية ، وعلى الرغم من أنه جرى في أوساط نخبوية، إلا أنه لم يكن سوى امتداد لاستقبال الفكر الأكثر عمومية وأقل نخبوية لآراء فكرية وعلمية قادمة من الغرب مثل الداروينية والماركسية ومناهجها الاقتصادية والاجتماعية، وهو فكر يستوجب أن يكون المفكر ((مع)) أو ((ضد))، كما أنه فكر لا يحاول دائما أن ينقب وينبش ويوظف التأويل والتأويل المفرط في مهمته.

٤. من الصعب على المشتغلين العرب بالفلسفة والفكر ألا ينساقوا من المساحة الخاصة بالفلسفة العلمية إلى التطبيقات المعيارية لأي فكر فلسفي وخاصة في مجال الأخلاق، وعادة ما يقوم المفكر العربي بإجراء اختبار أخلاقي لأي فكرة واردة، كما أن الكثير من المشاريع الفكرية ارتبطت بالمشروع النهضوي التنويري المتعثر، وكأنه لا يوجد مجال لدراسة فلسفية مستقلة أو ((مختبرية)) دون أن توضع في مجال الأسئلة المؤجلة والراهنة حول المجتمع والعقل العربي، وعلى ذلك لا يمكن كثيرا التفريق بين ما هو ((فلسفي)) وما هو ((فكري)) حتى على مستوى التعامل مع الفلسفة في صورتها الخام للخروج بنتائج أكثر انضباطا ودقة لفهم الواقع وتفسيره، فالعلاقة بين الفلسفة والفكر في الوطن العربي هي علاقة ((ذوبان)) وبالتالي لا يمكن الفرز الضروري أحيانا لإجراءات الفحص والمعاينة، وما يحتاجه المفكر العربي هو تسخين السائل الفكري لاستخراج الملح الفلسفي منه.

٥. لم يتمكن المشتغلون العرب بالفلسفة من التعامل مع الوضعية المنطقية، لأنها في النهاية تعبر عن واقع علمي سائد في البلاد التي أنتجت فيها (النمسا وألمانيا) والبلاد التي ازدهرت على أرضها (الولايات المتحدة وبريطانيا) وبالتالي فإن العلماء العرب لم يكونوا طرفا في إثراء الحوار والجدل حول الوضعية المنطقية، وبقيت بين المشتغلين بالفلسفة دون أن تتعامل فعليا مع التحدي العلمي، كما أن البيئة الأكاديمية التي خرجت منها الوضعية المنطقية كانت تضم فلاسفة أو مشتغلين بالفلسفة أتوا من أوساط التخصص الرفيع في العلوم الطبيعية، مثل شليك وكارناب ونيوراث، وهو الأمر الذي لم يتوافر في الحالة العربية.

٦. أمام تعقيد مسألة الأصالة في الانتاج الفكري والعجز عن المزامنة مع الإنتاج الفكري في الغرب تبقى مسألة الحساسية تجاه الأفكار التي تعبر عن ضرورة التعامل المباشر مع الأفكار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغربية قائمة وملحة، وبالتالي فإن الموقف الذي يتخذه المشتغلون بالفلسفة يكون في الغالب توفيقيا أو انتقائيا، أو توفيقيا وانتقائيا في آن، ولكنه ليس موقفا قائما على بناء شخصية مستقلة وموضوعية تجاه التيارات الفكرية التي يجري انتاجها في الغرب.

المراجع

أولا- المراجع باللغة العربية:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إغروس، روبرت وستانسيو، جورج، (١٩٨٩)، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال خلايلي، **سلسلة عالم المعرفة.**

إمام ، إمام عبد الفتاح، (٢٠٠١)، **رحلة في فكر زكي نجيب محمود مع نص رسالته عن الجبر الذاتي المشروع القومي للترجمة**، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

آير، ألفريد جولس، (٢٠٠٦)، **الفلسفة في القرن العشرين**، ترجمة: بهاء درويش، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

برهييه، إميل: **تاريخ الفلسفة**، ت: جورج طرابيشي، الجزء السادس، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.

بريل، ليفي: **فلسفة أوجيست كونت**، ت: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو مصرية: القاهرة، ص٣٨.

برينتون، كرين، (١٩٨٤)، تشكيل العقل الحديث، ترجمة: شوقي جلال، **سلسلة عالم المعرفة**، الكويت.

بلانشي، روبير، (٢٠٠٢)، **المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل**، ط٢، ت: د.خليل أحمد خليل، الجزائر، سنة ديوان المطبوعات الجامعية.

بلانشي، روبير، (٢٠٠٣)، **الاستقراء العلمي والقواعد الطبيعية**، ترجمة: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة.

بوانكاري، هنري، (٢٠٠٦)، **قيمة العلم**، ترجمة: الميلودي شغموم، بيروت، دار التنوير.

بوانكاريه، هنري، (٢٠٠٢)، **العلم والفرضية**، ت: حمادي بن جاء الله، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

بوبر، كارل (٢٠٠٧)، **منطق الكشف العلمي**، ترجمة: محمد البغدادي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

بوبر، كارل، (١٩٥٩)، **عقم المذهب التاريخي.. دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية**، ترجمة: عبد الحميد صبرة، الإسكندرية، منشأة المعارف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بوخينسكي، **تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، ترجمة: محمد عبد الكريم موافي ، طرابلس: ليبيا، مؤسسة الفرجاني.

جيليز، دونالد (٢٠٠٩)، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، ترجمة: حسين علي، بيروت، التنوير للطباعة والنشر.

الحاج حسن، وداد: رودلوف كارناب، (٢٠٠١)، **نهاية الوضعية المنطقية**، المركز الثقافي العربي، الدار.

خليل، ياسين، (١٩٧٠)، **مقدمة في الفلسفة المعاصرة**، منشورات الجامعة الليبية.

الخولي، يمنى طريف (٢٠٠٠)، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

د. ب. جريبانوف وآخرون، (١٩٩٠)، **اينشتاين والقضايا الفلسفية لفيزياء القرن العشرين**، ترجمة: ثائر الصفار، ، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر.

دوكاسيه، بيير، (١٩٨٣) ، **الفلسفات الكبرى**، ترجمة: جورج يونس، سنة منشورات عويدات.

راسل، برتراند، (٢٠٠٩)، **حكمة الغرب**، الجزء الثاني، ترجمة: فؤاد زكريا، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

رجب، محمود، (١٩٨٦)، **الميتافيزيقيا عند الفلاسفة المعاصرين**، مصر، دار المعارف.

ريشنباخ، هانز، (**١٩٦٧**)، **نشأة الفلسفة العلمية**، ترجمة: فؤاد زكريا، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

زيدان، محمود، فهمي، (١٩٧٧)، **الاستقراء والمنهج العلمي**، دار الجامعات المصرية.

زيعور، علي، (١٩٩٤)، **قطاع الفلسفة الراهن في الفلسفة العربية في الذات العربية**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

شكري، غالي، (١٩٨٠)، **اعترافات الزمن الخائب**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العالم، محمود أمين، (١٩٦٥)، **معارك فكرية**، القاهرة، دار الهلال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العالم، محمود أمين، (١٩٨٦)، **الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر**، القاهرة، دار الثقافة الجديدة.

عامل، مهدي، (١٩٨٧)، **أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوزايات العربية**، بيروت، دار الفارابي.

علي، ماهر عبد القادر محمد، (١٩٩٤)، **خرافة الوضعية المنطقية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

غولدمان، لوسيان، (١٩٩٦)، **العلوم الإنسانية والفلسفة**، ت: يوسف الأنطكي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

الفندي، محمد ثابت، (١٩٧٢)، **أصول المنطق الرياضي**، القاهرة، دار النهضة العربية.

كارناب، رودلف، (١٩٦٦)، **الأسس الفلسفية للفيزياء**، ترجمة: سيد نفادي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة.

كون، توماس، (١٩٩٢)، بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، الكويت، **سلسلة عالم المعرفة**.

لاكروا، جان، (١٩٧٧)، **أوغست كونت**، ترجمة: منى الرافعي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

لالاند، أندريه، (٢٠٠١)، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، باريس، منشورات عويدات.

لينين، فيلاديمير، (١٩٨١)، ، **المادية والمذهب النقدي التجريبي**، موسكو، دار التقدم.

م. روزنتال و ب. يودين، (٢٠٠٦)، سمير كرم: ترجمة، **الموسوعة الفلسفية**، ط٢، بيروت، دار الطليعة.

ماجي، براين، (١٩٩٨)، **رجال الفكر مقدمة للفلسفة الغربية المعاصرة**، ت: نجيب الحصادي بنغازي، منشورات جامعة قاريونس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماشيري، بيار: كونت، (١٩٩٤)، **الفلسفة والعلوم**، ت: سامي أدهم، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ماضي، أحمد، (١٩٦٩)، حوار فلسفي مع زكي نجيب محمود، **مجلة الآداب**، العدد (٤) لسنة ١٩٦٩: نيسان ١٩٦٩، بيروت: دار الآداب.

ماضي، أحمد، (١٩٨٥)، الوضعية المنطقية في الفكر العربي، **بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول:** بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

محمود، زكي نجيب، (١٩٥٨)، **نحو فلسفة علمية**، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

محمود، زكي نجيب، (١٩٦١)، **المنطق الوضعي**، القاهرة، الأنجلو مصرية.

محمود، زكي نجيب، (١٩٧٩): **من زاوية فلسفية**، ط٤، ١٩٩٣، القاهرة، دارالشروق.

محمود، زكي نجيب، (١٩٧٩)، **من زاوية فلسفية**، ط٤، ١٩٩٣، القاهرة،. دارالشروق.

محمود، زكي نجيب، (١٩٨٨)، **قشور ولباب**، ط ٢، ط ١، ١٩٨١، القاهرة، دارالشروق.

محمود، زكي نجيب، (١٩٩٠)، نافذة على فلسفة العصر، سلسلة كتاب العربي، **مجلة العربي**، الكويت.

محمود، زكي نجيب، (١٩٩٣)، **موقف من الميتافيزيقا**، ط٤، القاهرة، دارالشروق.

محمود، زكي نجيب، (٢٠٠٩)، تجديد الفكر العربي وزارة الثقافة الأردنية **"مشروع مكتبة الأسرة"** – عمان.

مرقص، إلياس، (١٩٩١)، **المذهب الجدلي والمذهب الوضعي**، سنة غير معروف دار النشر.

مرقص، إلياس، (١٩٩١)، **نقد العقلانية العربية**، بيروت، دار الحصاد.

المصباحي محمد (منسقا)، (٢٠١٠)، **رهانات الفلسفة العربية**، جامعة محمد الخامس، أكدال – الرباط (دراسة أحمد ماضي بعنوان "هل ثمة فلسفة في العالم العربي يمكن أن تنعت بأنها عربية؟")

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصطفى ابراهيم، ابراهيم، (١٩٩٩)، **منطق الاستقراء**، المنطق الحديث، الاسكندرية، منشأة المعارف.

مهران، محمد، (١٩٧٨)، المنطق، **سلسلة كتابك دار المعرفة**، الإسكندرية.

الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة وآخرون، (١٩٨٨)، معهد الانماء العربي، بيروت

الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة: زكي نجيب محمود، بيروت، دار القلم.

موي، بول: **المنطق وفلسفة العلوم** ترجمة: فؤاد زكريا، دار نهضة مصر.

نفادي، السيد، (١٩٩١)، معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والانسانية، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية بيروتي، ماكس: ضرورة العلم.. دراسات في العلم والعلماء ترجمة: باسم معصراني ووائل أتاسي ١٩٩٩، **سلسلة عالم المعرفة**، الكويت.

هويدي، يحيى، (١٩٦٦)، **ما هو علم المنطق؟** القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

هويدي، يحيى، (١٩٩٣)، **قصة الفلسفة الغربية**، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

وايت، مورتون، (١٩٧٥)، **عصر التحليل.. فلاسفة القرن العشرين**، ترجمة: أديب يوسف شيش، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ثانيا- مراجع باللغة الإنجليزية:

Adamson, Robert, (1911). **A Short History Of Logic, William Blackwood & Sons** – Edinburgh.

Alan Richardson & Thomas Uebel (Editors), (2008), **Cambridge Companion To Logical Positivism**, Cambridge University Press.

Comte, Auguste, (1868), The Positive Philosophy, **Translated By Harriet Martineau,** New York.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Dingle, Herbert, (1953),: **The Scientific Adventure: Essays In The History And Philosophy Of Science,** Philosophical Library Inc.

Hoffding, Harald, (1955), **A History Of Modern Philosophy,** Dover Publications Inc, NY.

Lacey, A.R. (1976), **A Dictionary Of Philosophy,** King's College, University Of London

Mach, Ernst, (1914), **The Analyses Of Sensation,** The Open Court Publishing Company, Chicago.

Macmillan, (2006), **Encyclopedia Of Philosophy,** Donald Borchert – Editor In Chief, Macmillan Reference USA, Volume Six, 2nd Edition

Mill, John Stuart, (1882), **A System Of Logic**, Harper & Brothers Publishers – New York.

Mill, John Stuart, (2008), **August Comte And Positivism,** Serenity Publishers, Rockville.

Popper, Karl, (1992), **Unended Quest**, Routledge – London.

Wolff, Robert Paul, (1971), **Philosophy A Modern Encounter**, Englewood Cliffs, N.J.

LOGICAL POSITIVISM IN CONTEMPORARY ARAB THOUGHT

By
Sameh Ramadan Al-Mahariq

Supervisor
Dr. "AHMAD AWNI" ABED ALAZIZ MADI

ABSTRACT

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The purpose of this study is to understand the Logical Positivism as a significant philosophical trend in the first half of the twentieth century. Logical Positivism was considered as a type of Analytical Philosophy and it is characterized by an emphasis on anti-metaphysical position and the necessity of mathematical and logico-linguistic constructs and deductions of epistemology.

Among many others, Arab intellectual and thinkers interested in Logical Positivism which presented by Zaki Naguib Mahmoud and evoked an intensive arguments regarding its ideas, and, moreover, the adequacy to be used as a tool to stimulate the Arab revival.

This thesis aimed to investigate for the Arab intellectuals deal with the Western schools and movements in philosophy, through showing the debates regarding the Logical Positivism between advocated thinkers and their oppositions.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit